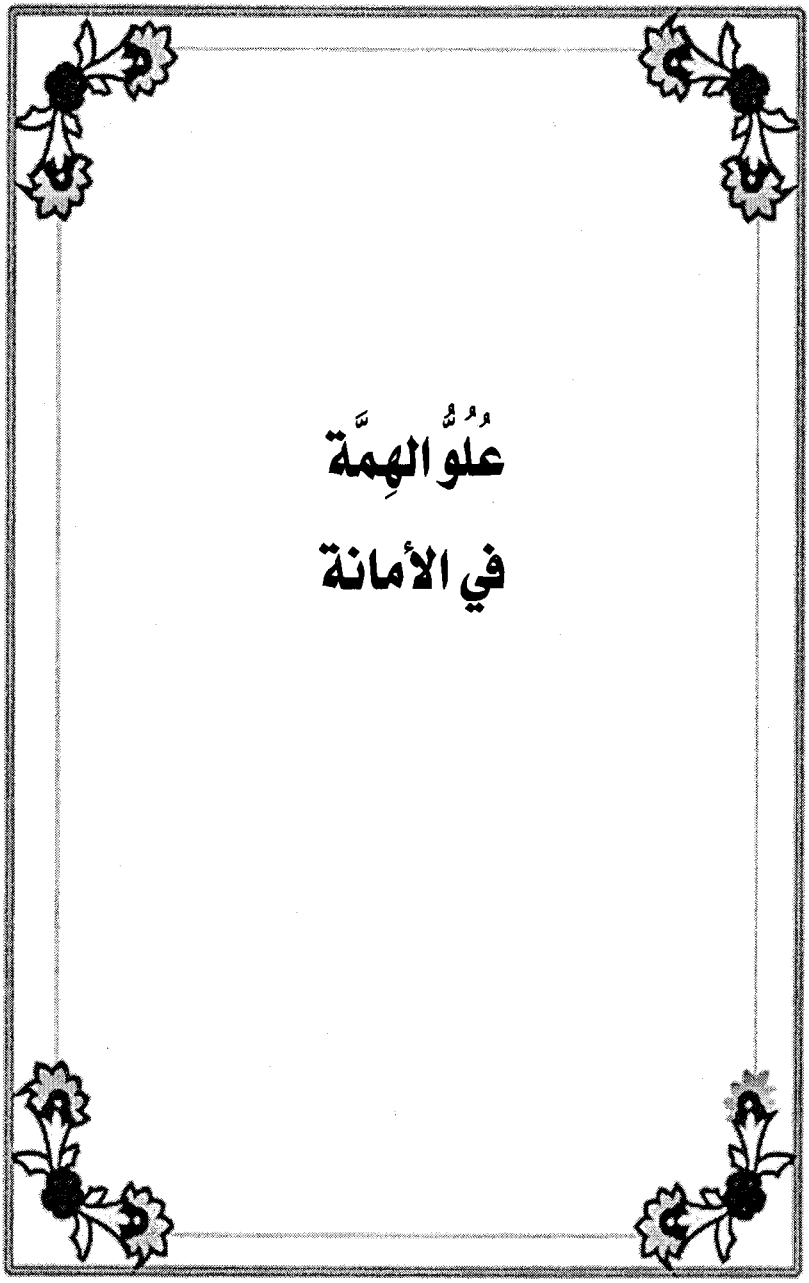

عُلُوُّ الهِمَّة

في الأمانة

عُلُوُّ الهِمَّة في الأمانة

الأمانة من أَجَلِّ القِيَم الخُلُقِيَّةِ التي بُنيتِ عليها شريعة الإسلام، وهي قيمة عظيمة تُصان بها حقوق الله ﷻ وحقوق الناس، وهو جزء لا يتجزَّأ من صفات المؤمنين، ومن الأمانةِ الكبرى التي حَمَلَهَا الإنسانُ أمامَ الله ﷻ بالخضوع لأوامرِهِ، والانتهاءِ عن زواجِرِهِ – انبثقتْ سائرُ الأماناتِ مثلُ: أمانَةِ الشَّهَادَةِ لهذا الدِّينِ، وأمانةِ العِلمِ، وأمانةِ الدَّعوةِ إلى الله تعالى، وأمانةِ المحافظةِ على حرماتِ المجتمعِ، وأمانةِ التعاملِ مع الناس، ورَدِّ أماناتِهم إليهم..، قال ابن مسعود ﷺ: «.. وَالأَمَانَةُ في الصلاة، والأَمَانَةُ في الصَّوم، والأَمَانَةُ في الحديث، وَأَشَدُّ ذلك الودَائع..»، فالأمانة في الإسلام مفهومها شاملٌ لِدِينِ الإنسانِ وطاقَتِهِ في تحمُّلِ أعباءِ التكاليفِ التي فَرَضَها الله تعالى عليه.

والأمانة بوصفها قيمةً خُلُقِيَّةً من أَجَلِّ الفضائلِ، هي الأساسُ لكلِّ الأعمَالِ، والشاملةُ للسلوك الإنساني كُله»[1].

الأمانة لغة:

الأمانةُ مصدر قولهم: أمُنَ يأمُنُ أمَانَةً أي صَارَ أَمِينًا، وهو مأخُوذٌ منْ مادَّة (أَمَ نَ) التي تدُلُّ على سكون القلب، ويقال: أمِنْتُ الرَّجُل أمنًا وأمنَةً وأمانًا وآمنني يؤمنُنِي إيمَانًا، ورجلٌ أمنةٌ: إذا كان يأمنه النَّاسُ ولا يخافُون غائِلَتَهُ، وأمنةٌ بالفتح إذا كان يُصدِّقُ ما سمع ولا يُكذِّبُ بشيءٍ،

---

(١) «الأمانة في الإسلام وآثارها في المجتمع» (ص٦) لعبد اللطيف بن إبراهيم بن عبد اللطيف – دار ابن الجوزي. السعودية.

وقال الجوهريُّ: الأمنةُ الذي يُصدِّقُ بكلِّ شيءٍ وكذلك الأمنةُ مثال الهمزةُ، واستأمن إليه دخل في أمانِهِ.

□ وقال ابن منظورٍ: «الأمانُ والأمانةُ بمعنًى، والأمانةُ: ضدُّ الخيانة».

□ وقال ابن الأثير: «الأمنةُ جمع أمينٍ، وهو الحافظُ. وقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة].

□ قال أبو إسحاقَ: أراد ذا أمنٍ، فهو آمنٌ وأمنٌ وأمينٌ. ورجلٌ أمنٌ وأمينٌ بمعنًى واحدٍ».

ويقالُ: أمنْتُهُ على كذا، وائتمنته بمعنًى. وتقولُ: ائتُمِن فلانٌ على ما لم يسمَّ فاعله، فإن ابتدأت به صيَّرْت الهمزة الثانية واوًا فنقول: أوْتمن.

□ وقال الرَّاغبُ: «والأمْنُ والأمانُ والأمانةُ في الأصل مصادرُ، ويجعل الأمان تارةً اسمًا للحالة التي يكون عليها الإنسانُ في الأمنِ، وتارةً «تجعل الأمانةُ» اسمًا لِمَا يؤمنُ عليه الإنسانُ، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَخُونُوٓا أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧] أي ما ائتُمنْتُم عليه، وقول الله سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأحزاب: ٧٢]. قيل هي كلمةُ التوحيد وقيل: العدالةُ، وقيل: حُروفُ التَّهجِّي، وقيل: العقل وهو صحيحٌ؛ فإنَّ العقل هو الذي لحصوله يتحصَّل معرفة التوحيد وتجْري العدالةُ وتعرفُ حروف التَّهجِّي، بل لحصوله تعلُّم كلِّ ما في طوْقِ البشر تعلُّمه، وفعل ما في طوقهم من الجميل فعله وبه فضِّلَ «الإنسان» على كثيرٍ ممَّنْ خلقهُ [(١)].

---

(١) «لسان العرب» (١٣/ ٢١، ٢٢) مختصرًا، و«مفردات الراغب» (٢٩)، و«مقاييس اللغة» (١/ ١٣٣).

□ وقال الطَّبريُّ: «اختلفَ في معنى هذه الآية الكريمة، فقال بعضهم: المعنى أن الله تبارك وتعالى عرض طاعته وفرائِضَهُ على السَّمواتِ والأرض والجبال على أنَّها إنْ أحسنت أثيبتْ وجوزيتْ، وإنْ ضيَّعتْ عوقبتْ، فأبتْ حملها شفقًا منها ألَّا تقوم بالواجب عليها، وحملها آدمُ، إنَّه كان ظلومًا لنفسه، جهُولًا بالذي فيه الحظُّ له، وقد استدلَّ أبو جعفرٍ على ذلك بمَا رُويَ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما وغيره منْ أنَّ الأمانَةَ في الآيةِ الكريمةِ هي الفرائضُ التي افترضها الله على عبادِهِ، وبمَا رُويَ عنه أيضًا من قوله (أي ابن عباسٍ رضي الله عنهما) الأمانةُ: الطاعةُ عرضها الله عليها أي على السمواتِ والأرض والجبال قبْل أنْ يعرضها على آدمَ، فلمْ تُطِقْها، فقال لآدم: يا آدمُ، إنِّي قدْ عرضتُ الأمانةَ على السمواتِ والأرض والجبال فلم تُطِقها، فهل أنت آخذها بمَا فيها؟ فقال: يا ربُّ وما فيها؟ قال: إنْ أحسنْت جُزِيتَ، وإنْ أسأْتَ عُوقِبْتَ فأخذها آدَمُ فتحمَّلَها»[(١)].

□ قال الطبريُّ: «وقال آخرونَ: عُنِيَ بالأمانةِ في هذا الموضع أماناتُ الناس، وذهبَ فريقٌ ثالثٌ إلى أنَّ المراد بالأمانة هنا ائتمَانُ آدمَ عليه الصلاة والسلام ابنه قابيل على أهله وولده»[(٢)].

وأولى هذه الأقوالِ بالصَّوَابِ ما قاله الذين قالوا إنَّهُ عُنِيَ بالأمانَةِ في هذا الموضع جميعُ معاني الأماناتِ في الدِّين، وأماناتِ الناس، وذلك أنَّ

---

(١) «تفسير الطبري» المجلد العاشر (حـ٢٢ ص٣٨، ٣٩).

(٢) ذكر القرطبي أن الحكيم الترمذي قد اعترض على هذا الرأي، وتعجب من قائله لأن الآثار وظاهر النص وباطنه، كل ذلك يتعارض معه تعارضًا واضحًا، قلت: والأمر كما قال. انظر: «تفسير القرطبي» (١٤/ ٢٥٦).

الله ﷻ لم يخُصَّ بقوله: ﴿عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ بعض معاني الأماناتِ دون بعضٍ»[١].

□ وقال القرطبي: «الأمانةُ تَعُمُّ جميع وظائفِ الدِّين، ونسب هذا القول لجمهور المفسِّرين، فالأمانةُ هي الفرائضُ التي ائْتمنَ الله عليها العباد، واختُلِفَ في تفاصيل بعضها على أقوالٍ: فقيل: «هي أمانَاتُ الأموالِ، كالودائع وغيرها». وقيل: «في كلِّ الفرائضِ، وأشدُّها أمانةُ المَالِ»، وقيل: «من الأمانة أن ائْتُمِنَتِ المرأةُ على فرْجِها»، وقال بعضهم: «غسل الجنابة أمانةٌ»، وقيل: «الأمانةُ هي الصلاةُ، إن شئْتَ قلت: صلَّيْتُ، وإنْ شِئْتَ قلت: لم أُصَلِّ، وكذلك الصيام وغسل الجنابة، وعلى ذلك فالفرجُ أمانةٌ»[٢]، والأذن أمانةٌ، والعين أمانةٌ، واللِّسانُ أمانةٌ، والبطنُ أمانةٌ، واليدُ أمانةٌ، والرِّجل أمانةٌ».

قال: «ولا إيمَانَ لمنْ لا أمانةَ له»[٣].

وقيل: «هذه الأمانةُ هيَ ما أوْدَعَهُ الله تعالى في السمواتِ والأرض والجبال والخلق من الدلائل على رُبوبيَّته أنْ يظهروها فأظْهروها إلَّا الإنسانَ فإنَّه كتمَها وجحدها، والمرادُ بالإنسانِ على ذلك هو الكافرُ والمنافقُ»[٤].

• أما ما جاءَ في الحديث: «**المؤذِّنُ مُؤْتَمَنٌ**»، أراد به: مؤْتمنُ القوم

---

(١) المرجع السابق (ص٤٩).

(٢) أي حفظ الفرج.

(٣) أي لن لم يحفظ هذه الأمانات التي استودعها الله إياه.

(٤) انظر هذه الآرواء وغيرها في «تفسير القرطبي» (١٤/ ٢٥٣= ٢٥٨).

الذي يثقُونَ إليه، ويتَّخِذُونه أمينًا حافظًا، والأمانةُ تقعُ على الطاعةِ والعبادةِ والوديعةِ والثقة والأمَانِ.

ويُقالُ: رجلٌ أمينٌ وأمَّانٌ أي له دينٌ. وقيل: مأمونٌ به ثقةٌ.

□ قال الأعمش:

وَلَقَدْ شَهِدْتُ التَّاجِرَ الـ ... أُمَّانَ مَوْرودًا شَرَابُهْ

والتَّاجر الأمَّانُ بالضمِّ والتَّشديدِ: «هو الأمين»[١].

□ وقال ابنُ الأنْباريِّ: «والأمينُ منْ حروف الأضدادِ، يقالُ: فلانٌ أمينٌ، أي مؤْتَمَنٌ، وفلانٌ أميني، أيْ مُؤْتَمَنِي أَأْتَمِنُهُ على أمْري، قال الشاعر:

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أَسْمَ وَيْحَكِ أَنَّنِي ... حَلَفْتُ يَمِينًا لَا أَخُونُ أَمِينِي

أي: مُؤْتَمَني [٢].

واصطلاحًا:

□ **قال الكفويُّ: «الأمانةُ: كلُّ ما افترض الله على العبادِ فهو أمانةٌ كالصلاة والزكاة والصيام وأداء الدين، وأوكدُهَا الودائعُ، وأوكدُ الودائع كتمُ الأسرار، وقال في موضعٍ آخرَ: كُلُّ ما يُؤتَمَنُ عليه منْ أموالٍ وحُرَمٍ وأسرارٍ فهو أمانةٌ [٣]»[٤]. اهـ.**

□ **قال الشيخ عبد الرحمن حبَنَّكة الميداني في كتابه القيِّم «الأخلاق**

---

(١) «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٧١)، و«لسان العرب» (١٣/ ٢٢).

(٢) «الأضداد» (٢٤).

(٣) «الكليات» للكفوي (١٧٦ - ١٨٦) بتصرف يسير.

(٤) «نضرة النعيم» (٢/ ٥٠٧ - ٥٠٩).

الإسلامية وأُسُسُها»: «الأمانة أحد الفروع الخلقية لحب الحق وإيثاره، وهي ضد الخيانة.

والأمانة في جانبها النفسي خلق ثابت في النفس يعف به الإنسان عمَّا ليس له حق، وإن تهيأت له ظروف العدوان عليه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس، ويؤدي به ما عليه أو لديه من حق لغيره، وإن استطاع أن يهضمه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس.

فمن تهيأ له أن يهضم دينًا عليه دون أن يكون لدى الدائن ما يثبت به حقه، فعف عن ذلك ولم يفعل وأدى ما عليه من حقٍّ كاملًا غير منقوص فهو أمين حقًّا.

ومن تهيأت له فرصة اختلاس أموال غيره دون أن يشعر به أحد من الناس، ودون أن يكون عرضة لاكتشاف لصوصيته، فعف عن ذلك ولم يفعل، فإنمَا ذلك أثر من آثار الأمانة في نفسه.

ومن كان يؤدي الودائع التي عنده لأصحابها، مع أن أصحابها لا يملكون وثائق بها عليه، فهو أيضًا إنمَا يفعل ذلك بدافع خلق الأمانة الذي يتحلى به.

مجالات الأمانة:

ولا تقتصر الأمانة على العفة عن الأموال، بل العفة عن كل ما ليس للإنسان به حق هي أيضًا داخلة في حدود الأمانة، أو أثر من آثارها.

فالعفة عن العدوان على الأعراض من الأمانة، والعفة عن العدوان على الحقوق العلمية من الأمانة، والعفة عن الغش وتطفيف الكيل

والميزان من الأمانة، والعفة عن الغلول[١] من الأمانة، وتبليغ الرسائل الكتابية أو اللفظية إلى أصحابها من الأمانة، وتأدية حق النصيحة لكل مسلم من الأمانة، وتأدية حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأمانة. وتأدية العبد حق ربه عليه من الأمانة، كالعبادات المفروضة والطاعة الواجبة، وكف العبد نفسه عمَّا حرم الله عليه من الأمانة؛ لأن العبد المكلف مستأمن على ما وضع الله بين يديه وما وضع تحت سلطته من أشياء، سواء أكانت داخلة في حدود ذاته أو خارجة عنها، الحق في كل ذلك هو لله وقد استأمن الله عباده عليها، فأذن لهم بأشياء وحرم عليهم أشياء، فمن تجاوز حدود الإذن الإلهي فاعتدى على ما ليس به حق فقد خان الأمانة، فالطاعة لله من الأمانة، والمعصية لله من الخيانة.

ومن الأمانة إعطاء كل ذي حق حقه، فالعدل من الأمانة، والجور والظلم من الخيانة. ومن الأمانة الاهتمام بأن يحفظ المستأمنون ما تحت أيديهم من حقوق لغيرهم، حتى يؤدوها إلى أصحابها وهي على حالتها حينمَا استؤمنوا عليها، ما لم يكن مرور الزمن يغير منها بصفة طبيعية معلومة.

وهكذا تتعدد مجالات خلق الأمانة وتتسع دوائرها.

ولمَّا كانت الأمانة مرتبطة بمبدأ الحق كان من يحب الحق ويؤثره يجد نفسه مدفوعًا لأن يكون أمينًا على حقوق الآخرين، وإن تحركت مطامعه أو شهواته للاستيلاء عليها.

والأمانة مصدر كالأمان، والأمان من الأمن هو ضد الخوف، وحين

---

(١) الغلول: هو العدوان على الأموال العامة للمسلمين.

تنعدم مسببات الخوف يحصل الأمان في النفوس. ولمَّا كان الأمين إنسانًا مأمون الجانب لا يُخشى عدوانه على حقوق غيره كانت ساحته ساحة أمان، ليس فيها أي مثير للخوف على المَال، أو على العرض، أو على الحياة، ولذلك سميت الخصلة التي يتحلى بها الأمين على حقوق الآخرين أمانة، ولمَّا كانت هذه الخصلة داخلة في ميدان الأخلاق كانت إحدى الفروع الأخلاقية، ولمَّا كان أساسها الحق كانت إحدى الفروع الخلقية لحب الحق وإيثاره.

□ وقد ظهر لنا من تعريف الأمانة أنها تشتمل على ثلاثة عناصر:

الأول: عفة الأمين عمَّا ليس له به حق.

الثاني: تأدية الأمين ما يجب عليه من حقٍّ لغيره.

الثالث: اهتمَام الأمين بحفظ ما استؤمن عليه من حقوق غيره، وعدم التفريط بها والتهاون بشأنها[1].

---

(١) «الأخلاق الإسلامية وأسسها» لعبد الرحمن حبنكة الميداني (١/ ٦٤٦- ٦٤٧).

الأمانة في القرآن الكريم

□ ذكر ابن الجوزي في كتابه «نزهة الأعين النواظر»[١] - نقلًا عن بعض المفسِّرين أن الأمانة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجهٍ:

الأول: الفرائض: ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

الثاني: الوديعة: ومنه قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨].

الثالث: العِفّة (والصيانة): ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص].

وقد ذكر المولى ﷻ في كتابه الكريم آمرًا بها ومؤكِّدًا شأنها وشأن أهلها، وتكرر لفظ الأمانة ومشتقّاتها في القرآن العظيم أكثر من أربعين مرة[٢].

* وعمَاد ما ورد في شأن الأمانة تعظيمًا، وإجلالًا، وإعلاء، لمن قام بها وحملها قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب]. إذ دَلَّ على عظم منزلة الأمانة، وتفرد الإنسان بحملها.

(١) «نزهة الأعين النواظر» (١/ ١٠٥، ١٠٦)، وقد أضفنا إلى الوجه الثالث لفظ (والصيانة) نقلا عن الفيروزأبادي في «بصائر ذوي التمييز» (٢/ ١٥٣) ولم يذكر الفيروزأبادي سوىٰ الوجهين الأول الثالث.

(٢) انظر «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» لمحمد فؤاد عبد الباقي (ص٨١- ٨٩).

□ قال الشيخ ابن جبرين: «إن المقصود بالأمانة العامة هي العبادة، وهي التي ذُكِرت في الآية الكريمة».

فقد عرض الله هذه الأمانة على أعظم مخلوقاته: على السموات مع عِظم خَلْقِها، وعلى الأرض – أيْ: جنس الأرض – مع عِظَمها، وعلى الجبال مع قوّة خلِقها وصلابتها؛ فأشفقت وتبرَأت منها ولم تتحمَّلها، مع أن هذه المخلوقات مُذَلَّلة لأمر الله، لا تستعصي، ولا تخرج عن الطاعة التي كُلِّفت بها.

* وقد ذكر الله أن هذه المخلوقات مطيعة لربها، مسخَّرة لِمَا كُلِّفت به، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت].

فهذه المخلوقات من الجبال وغيرها قد تبرّأت من هذه الأمانة، وأشفقت منها، وأمتنعت من تحمُّلِها على خشيتها وطاعتها لله، وقد تحملَّها الإنسان على ضعفه! تحمَّلها الإنسان والتزم بها، فلابد أن يؤديها، ويقوم بها حق القيام، وإذا لم يقم بها وفرّط يها فإنه مسؤول عنها أمام الله مستحق للعقوبة بتركها وخيانتها»[1].

□ قال الشنقيطي في «أضواء البيان»: «ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه عرض الأمانة، وهي التكاليف مع ما يتبعها من ثواب وعقاب على السموات والأرض والجبال، وأنهُنَّ أَبَيْنَ أن يحمِلْنَها وأشفقن منها، أي: خِفْن من عواقب حملها أن ينشأ لهنَّ من ذلك عذاب الله وسخطه، وهذا العَرْض والإباء، والإشفاق كلُّه حق، وقد خلق الله للسموات

(١) «الإمانة» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين (ص٧، ٩).

والأرض والجبال إدراكًا يعلمه هو جل وعلا، ونحن لا نعلمه، وبذلك الإدراك أدركت عرض الأمانة عليها، وأبتْ وأشفقت، أي: خافت.

* ومثل هذا تدل عليه آيات وأحاديث كثيرة فمن الآيات الدالة على إدراك الجمَادات المذكور قوله تعالى في سورة البقرة في الحجارة ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، فصرّح بأن من الحجارة ما يهبط من خشية الله، وهذه الخشية التي نسبها الله لبعض الحجارة بإدراك يعلمه هو تعالى.

* ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾

[الإسراء: ٤٤].

* ومنها قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، إلى غير ذلك من الآيات.

* وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ الظاهر أن المراد بالإنسان آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وأن الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، راجع للفظ ﴿الْإِنسَانُ﴾ مُجَرَّدًا عن إرادة المذكور منه، الذي هو آدم.

والمعنى: إنه أي الإنسان الذي لا يحفظ الأمانة ﴿كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ أي كثير الظلم والجهل، والدليل على هذا أمران:

أحدهما: قرينة قرآنية دالة على انقسام الإنسان في حمل الأمانة المذكورة إلى معذَّب ومرحوم في قوله تعالى بعده متَّصِلًا به: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب]، فدلَّ هذا على أن الظلوم الجهول من الإنسان هو المُعَذَّب، والعياذ بالله، وهم المنافقون والمنافقات، والمشركون والمشركات، دون المؤمنين والمؤمنات. واللام في قوله: ﴿لِّيُعَذِّبَ﴾ لام التعليل، وهي متعلقِّه بقوله: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾.

الأمر الثاني: أن الأسلوب المذكور الذي هو رجوع الضمير إلى مجرَّد اللفظ دون اعتبار المعنى التفصيلي معروف في اللغة التي نزل القرآن بها، وقد جاء فعلًا في آية من كتاب الله وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١]؛ لأن الضمير في قوله: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ راجع إلى لفظ «المعمَّر» دون معناه التفصيلي؛ كمَا هو ظاهر. وهذه المسألة هي المعروفة عند علمَاء العربية بمسألة: عندي درهم ونصفه، أي: نصف درهم آخر، كمَا ترى.

وبعضُ من قال من أهل العلم: إن الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ عائد إلى آدم، قال: المعنى: إنه كان ظلومًا لنفسه جهولًا، أي: غرًّا بعواقب الأمور، وما يتبع الأمانة من الصعوبات، والأظهر ما ذكرنا، والعلم عند الله تعالى»[1].

ومن الآيات الواردة في الأمانة:

أوَّلاً: ما يؤتمن عليه الإنسان من الفرائض والتكاليف:

* قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال].

(١) «أضواء البيان» للشنقيطي (٦/ ٤١٠- ٤١٢)- طبعة المكتبة التوفيقية.

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ .. ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ثانيًا: ما يُؤتمن عليه الإنسان من ودائع ونحوها:

* قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء].

* وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [يوسف].

* وقال تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف].

* وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون].

* وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المعارج].

ثالثًا: ما يؤتمن عليه الإنسان من الأعراض «العفة والصيانة» والتكاليف:

* قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾

قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النمل].

* وقال تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص].

رابعًا: أمانة الرُّسل: «ما يُؤتمن عليه الرسل والملائكة في التبليغ عن الله عَزَّوَجَلَّ».

الأمانة من أبرز أخلاق الرسل:

من الملاحظ في أسس العقيدة أن الأمانة من أبرز أخلاق الرسل عليهم الصلاة والسلام، لأنها شرط أساسي لاصطفائهم بالرسالة، فلولا أن يكونوا أمناء لَمَا استأمنهم الله على رسالاته لخلقه.

* ففي شأن هود عليه السلام يقول الله تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأعراف].

فعرض هود عليه السلام لقومه من صفاته أنه أمين، وهذه الصفة من صفاته لابد أن تكون معروفة لديهم قبل أن يبعثه الله رسولًا، ومن شأن الأمين أن يكون موثوقًا به في نقل الأخبار وتبليغ الرسالات.

* قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [الشعراء].

* وقال تعالى في شأن نوح عليه السلام وقومه: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [الشعراء].

* وقال تعالى عن كليمه موسى ﷺ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾﴾ [الدخان].

رسول الله ﷺ الأمين:

كانت الأمانة خُلُقًا بارزًا ظاهِرًا من أخلاق رسول الله ﷺ اشتهر به رسول الله ﷺ بين قومه قبل الرسالة، وكان الناس يختارونه لحفظ ودائعهم، ولمَا هاجر ﷺ وَكَّل عليَّ بن أبي طالب بردِّ الودائع إلى أصحابها(١).

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعثَ عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمنِ بذُهَيْبَةٍ (٢) في أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ (٣)، لم تحصَّلْ من ترابها (٤). قال فقسمها بين أربعة نفرٍ: بين عيينة بن بدْرٍ، وأقْرع بن حَابِسٍ، وزيد الخيل، والرَّابعُ إمَّا علْقمةُ وإمَّا عامرُ بن الطُّفيل. فقال رجلٌ من أصحابه: كنَّا نحن أحقَّ بهذا من هؤلاءِ. فبلغ ذلك النَّبيَّ ﷺ فقال: **«ألَا تَأْمَنُونِي وأنَا أَمِينُ مَنْ في السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا ومَسَاءً؟»**

---

(١) انظر: «الأخلاق الإسلامية» (١/ ٦٤٨).

(٢) ذُهَيبَة: تصغير ذهبة بمعنى القطعة.

(٣) أديم مقروظ: أيْ في جِلْد مدبوغٍ بالقَرَظ، والقَرَظ حَبٌّ يؤخذ من ثمر شجر العضَاه.

(٤) لم تُحَصَّل من ترابِها: لم تُمَيَّز ولم تُصَفَّ من ترابِ معدنها.

قال: فقام رجلٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الوَجْنتيْنِ [١]، نَاشِزُ الجَبْهَةِ [٢] كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الإزَارِ. فقال: يا رسول الله اتَّقِ الله! قال: «**وَيْلَكَ: أو لستُ أحَقَّ أهلِ الأرْض أَنْ يَتَّقِيَ الله؟**» قال: ثُمَّ وَلَّى الرَّجل. قال خالدُ بن الوليدِ: يا رسول الله ألَا أضْرِبُ عنقه؟ قال: «**لا؛ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي**». فقال خالدٌ: وَكَمْ منْ مُصَلٍّ يقول بلسانِهِ ما ليسَ في قلبِهِ. قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أُنَقِّبَ قُلُوبَ النَّاسِ** [٣] **وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ**». قال: ثمَّ نظر إليه وهو مُقَفٍّ [٤] فقال: «**إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ** [٥] **هذا قومٌ يَتْلُونَ كِتَابَ الله رَطْبًا لا يُجَاوِزُ حناجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**». وأظُنُّهُ قال: «**لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ** [٦]**»** [٧].

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان على رسول الله ﷺ ثَوْبانِ قطْرِيَّانِ غَلِيظانِ. فكان إذا قعد فعرقَ، ثَقُلَا عليه، فقدم بَزٌّ [٨] من الشام لفلانٍ اليهوديِّ. فقلت: لو بعثْتَ إليه فاشتريت منه ثوبين إلى الميسرةِ. فأرسل إليه فقال: قدْ علمْتُ ما يريد. إنَّما يريدُ أنْ يذهب بمَالي أو بدَرَاهِمي. فقال

---

(١) مشرف الوجنيْن: أي غليظهما. والوجنتان: تثنية وَجْنة وهي ما ارتفع من لحم الخَدِّ.

(٢) ناشز الجبهة: أي مرتفعها.

(٣) لم أومر أن أُنَقِّب عن قلوب الناس: أي أُفَتِّش وأكشف.

(٤) وهو مُقَفٍّ: أي ذهب مُوَلِّيًا وكأنه من القفا أي أعطاه قفاه وظهره.

(٥) ضئضئ هذا: هو أصل الشيء. وهو بالمُعْجَمتيْن والمهملتيْن.

(٦) قتل ثمود: يعني الاستئصال.

(٧) رواه البخاري «الفتح» (٧/ ٤٣٥١) واللفظ له، ومسلم (١٠٦٤).

(٨) البَزُّ: الثياب.. ضرب من الثياب.. انظر «لسان العرب» «بزز».

رسول الله ﷺ: «كَذَبَ. قَدْ عَلِمَ أَنِّي مِنْ أَتْقَاهُمْ لله وآداهُمْ للأَمَانَةِ»[١].

* وجبريل عليه السلام أمين الوحي، وقد وصفه الله بذلك في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء].

ولولا صفة الأمانة فيه لَمَا حصلت الثقة بما يبلِّغ عن الله من شرائع، ولَمَا اصطفاه الله لحمل رسالاته إلى رسله من البشر.

وكذلك حال الرسل من البشر، لولا صِفة الأمانة فيهم لمَا حصلت الثقة بمَا يبلِّغون عن ربهم، ولَمَا اصطفاهم الله لحمل رسالاته للناس»[٢].

الأمانة والفِطْرَة:

• عن حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين؛ رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر. حَدَّثَنَا: «**أَنَّ الأمانَةَ نَزَلَتْ في جَذْرِ**[٣] **قُلوبِ الرِّجَال، ثم علموا من القرآن، ثم علمُوا من السُّنة، وحدثنا عن رفعها، قال: ينامُ الرَّجل النَّومَة فتُقْبضُ الأمانةُ من قلبه، فيظلُّ أثرُها مثل أثَر الوَكْت**[٤]. ثم

---

(١) صحيح: رواه الترمذي في كتاب البيوع – باب ما جاء الرخصة في الشراء الأجل (١٢١٣)، والنسائي (٧/ ٢٩٤) –كتاب البيوع: باب البيع إلى أجل معلوم. وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (ص٢١٦).

(٢) «الأخلاق الإسلامية» (١/ ٦٤٩).

(٣) جَذْر: أي في أصلها، ويقال: جِذْر بكسر الجيم وبفتحها. «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٢٥٠)، و«فتح الباري» (١١/ ٣٣٤).

(٤) الوَكْت: الأثر في الشيء كالنقطة من غير لونه. «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٢١٨).

ينامُ النومةً فتُقبضُ، فيبقى أثرها مثل المَجْل [١]، كجمرٍ دحْرجْتَهُ على رجْلِك فَنَفِطَ [٢]، فتراه مُنْتَبِرًا [٣] وليس في شيء. فيُصبحُ الناس يتبايعون، فلا يكادُ أحدهم يُؤدي الأمانة، فيُقالُ: إن في بَني فُلانٍ رجلًا أمينًا. ويقال للرجل: ما أعقَلَهُ وما أظرَفَهُ وما أجلدهُ، وما في قلبه مثقَالُ حبَّة خَردَلٍ من إيمَانٍ. -ويقول حذيفة-: **ولقد أتى زمانٌ وما أبَالي أيكم بَايعت، لئن كان مسلمًا رَدَّهُ عليَّ الإسلام، وإنْ كان نصرانيًّا رَدَّهُ على ساعيه. فأمَّا اليوم فما كنتُ أبايع إلَّا فُلانًا وفُلانًا»** [٤].

ففيه دلالة على «حقيقة من حقائق التكوين الخلقي الفطري في الناس، وهذه الحقيقة تثبت أن الأصل في الناس أن يكونوا أمناء؛ لأن الله تعالى بالتكوين الفطري قد أنزل خلق الأمانة فوضعه في جذر قلوب الرجال، أي في أصل قلوبهم..، ثم نزلت شرائع الله التي أنزلها في كتبه، وبينها القرآن الكريم أحسن بيان، وبينتها سنة الرسول ﷺ، فكانت تغذية وتنمية لمَا غرسه الله تعالى في قلوب الرجال من فطرة قائمة على الأمَانَة في

---

(١) المجل: أثر العمل في اليد. المرجع السابق (٤/ ٣٠٠).

(٢) فَنَفِطَ: أي صار منتفطًا وهو المنتبر، يقال: انتبر الجرح وانتفط: إذا ارتَفَعَ وَوَرِمَ «لسان العرب» (١٤/ ٢٤١)، و(١٤/ ١٩)، و«القاموس المحيط» (ص٦١٦)، و«شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٦٩).

(٣) منتبرًا: أي مرتفعًا. «معجم مقاييس اللغة» (٢/ ٥٣٧).

(٤) رواه البخاري -واللفظ لَهُ- في كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، رقم الحديث (٦٤٩٧)، ورواه مسلم في كتاب «الإيمان»، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، وعرض الفتن على القلوب، رقم الحديث (١٤٣)، رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

أصل تكوينها»[١].

فهذه الفطرة المستقيمة استحسنت الأمانة منذ بدء الخلق، إلَّا أنها كانت محكومةً بحكم الشرع، فهي إذا زاغت عن الشرع انحرفت عن الأمانة وقَصَّرَت فيها وفَرَّطَت، سواء أكان بسبب الظلم أم الجهل، وهذا ما أشار إليه ابن عاشور في أكثر من موضع في تفسيره، من هذه المواضع ما أورده عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ قال: «يجوز أن يراد: ظلومًا في فطرته، أي في طبع الظلم والجهل، فهو مُعَرَّضٌ لهمَا ما لم يعصمه وازع الدِّين، فكان من ظلمه وجهله أن أضاع كثير من الناس الأمانة التي حملها»[٢]، وصرح به محمد رشيد رضا في قوله: «الأصل أن يكون الناس أمناء يقومون بوازع الفطرة والدِّين، والخيانةُ خلاف الأصل»[٣].

ويصف صاحب «الظلال» هذه الأمانة بأنها: «أمانة الهداية والمعرفة والإيمَان بالله عن قصد وإرادة وجهد واتجاه. فهذه أمانة الفطرة الإنسانية خاصة. فكل ما عدا الإنسان ألهمه ربه الإيمَان به، والاهتداء إليه، ومعرفته، وعبادته، وطاعته. وألزمه طاعة نَامُوسه بغير جهد منه ولا قصد ولا إرادة ولا اتجاه.. والإنسان وحده هو الذي وكل إلى فطرته وإلى عقله.. وإلى جهده الذي يبذله للوصول إلى الله تعالى، بعون من الله، قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

---

(١) «الأخلاق الإسلامية وأسسها»(١/ ١٨٥)، وانظر: (١/ ٤١٨، ٦٥١، ٦٥٣).

(٢) «تفسير التحرير والتنوير» (٢٢/ ١٣٠)، (٢٢/ ١٣١).

(٣) «تفسير المنار» (٥/ ١٧٦- ١٧٧).

[العنكبوت]، وهذه أمانة حملها الإنسان، وعليه أن يؤديها أول ما يؤديها من الأمانات»[١].

□ قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله: «المراد بالأمانة في حديث حذيفة: الإيمَان، وتحقيق ذلك فيمَا ذكر من رفعها، أن الأعمَال السيئة لا تزال تُضعِف الإيمَانَ، حتى إذا تناهى الضَّعْفُ لم يبق إلَّا أثر الإيمَان -وهو التلفُّظ باللسان- والاعتقاد الضعيف في ظاهر القلب. فشبهه بالأثر ظاهر البدن، وكنّى عن ضعف الإيمَان بالنَّوم، وضرب مثلًا لزهوق الإيمَان عن القلب حالًا بزهوق الحجر عن الرِّجْل، حتى يقع بالأرض»[٢].

بين الأمانة والميثاق:

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف].

• عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعْمَان[٣] يوم عرفة، وأخرج مِن صُلْبه كل ذريّة ذرأها فنثرهم بين يديْه كالذَّرِّ، ثم كلَّمهم قُبُلًا قال:** ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ

---

(١) «الظلال» (٢/ ٦٨٨).

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٤٠).

(٣) يعني: عرفة.

وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ [الأعراف]»[1].

وللجمع بين الآية والحديث جواب.

«والجواب: أن الله سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض، على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم، لمَا علم أنهم كلهم بنوه، وأُخرجوا من ظهره» اهـ من البغوي.

* وقوله تعالى: ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ . أي: أشهد بعضهم على بعض، وقرَّرهم بالتوحيد، وقال لهم: ألست بربكم وخالقكم؟ قالوا: بلى.

وذلك على اعتبار أن شهادة القريب على القريب أقوى من شهادة البعيد على البعيد؛ ولذلك تكون شهادة النبي على قومه، أقوَى في دلالتها؛ لإنه الحريص عليهم، والمنافح عنهم.

□ ويحتمل – والله أعلم- أن يكون إشهاد كل إنسان على نفسه، وتقريره بنفسه.. وهذا أبلغ، وأقْطع عند المنازعة يوم القيامة، حيث أن الإنسان يوم القيامة لا يقبل – أثناء محاجته لربه ﷻ- إلَّا شهيدًا عليه من نفسه، لذا يختم على فيه، فلا يستطيع الكلام، وتنطق جوارحه فتشهد عليه.

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٧٢)، والنسائي في «تفسيره» (١/ ٥٠٦ رقم ٢١١)، و«سننه» (١/ ٨٩) رقم (٢٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٧- ٢٨) (٢/ ٥٤٤)،وابن أبي عاصم، وابن جرير في «تفسيره» (١٢/ ٢٢٢) نسخة أحمد شاكر، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٢٣)، و«صحيح الجامع» (١٦٩٧) .

* وقوله تعالى: ﴿شَهِدْنَآ﴾ يحتمل أن يعود الضمير إلى الله ﷻ، ويحتمل رجوعه إلى الملائكة أنهم يشهدون على إقرار بني آدم، ويحتمل أن يكون هو خبر عن قول بني آدم بعضهم على بعض، فيشهد بعضهم على بعض.

ويحتمل – والله أعلم – أن يكون كل إنسان يشهد على نفسه، بمَا نطق به، وأقرّه، واعترف به من وجود الله تعالى، والإيمَان بوحدانيته، وعدم الشريك له..

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ وأما العهد والميثاق الذي أخذه الله سبحانه وتعالى على ذرية آدم عليه السلام فيوضِّحه حديث أنس رضي الله عنه التالي.

• فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابًا يوم القيامة: لو كان لك ما في الأرض من شيء أكنتَ مفتديًا به؟ فيقول: نعم. فيقول: أردتُ منك أهونَ من هذا وأنت في صُلْب آدم؛ أن لا تُشرك في شيئًا، فأبيْت إلَّا أن تُشرك بي**»[1].

□ قال القاضي عياض: «يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية. فهذا الميثاق الذي أُخِذ عليهم في

---

(١) رواه البخاري واللفظ له – كتاب أحاديث الأنبياء- باب خلق آدم وذريّته، و«صحيح مسلم» كتاب صفات المنافقين- باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا- رقم (٥١- ٥٣).

صُلْب آدم، فمن وَفَّى به بعد وجوده في الدنيا: فهو مؤمن، ومن لم يُوَفِّ به فهو الكافر».

□ لقد عرض الله سبحانه وتعالى الأمانة على آدم عليه السلام - بعد اعتذار السموات والأرض والجبال عن حملها، فتحمَّلها، كمَا مَرَّ. وأخرج ذريته بعد هبوطه إلى الأرض وأخذ عليهم العهد ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ الذي أخذه الله تعالى على جميع البشر، من لدن آدم عليه السلام حتى آخر إنسان على سطح الأرض.

وهذا العهد الذي يمثِّله قوله تعالى لبني آدم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وجوابه على لسان بني آدم ﴿قَالُوا بَلَى﴾ هو الأمانة التي كان قد تحملَّها آدم عليه السلام مِن قبل»[1].

□ قال الأصبهاني: «الأمانة في الحديث هي الأمانة المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ وهي عين الإيمَان، فإذا استمكنت الأمانة من قلب العبد، قام حينئذ بأداء ما أُمِر به، واجتنب ما نهي عنه»[2].

الإيمان والأمانة:

* أثنى الله عز وجل في أكثر من آية على رعاية المؤمنين للأمانة، وفي هذا إعلاءٌ لشأنها، من هذا الثناء قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون:٨]، و[المعارج: ٣٢]. فجعلها صفة بارزة للمؤمنين.

□ قال ابن كثير: «إن المؤمنين «إذا ائتمنوا لم يخونوا، بل يؤدونها إلى

---

(١) انظر: «الأمانة العظمى ونبيها ﷺ» لخليل إبراهيم مَلاَ خاطر (ص٥٠- ٦٢)- دار القبلة للثقافة الإسلامية.

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٦٨)، و«فتح الباري» (١٣/ ٤٠).

أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوْفَوا بذلك»[١].

وجمع الله الأمانات باعتبار تَعدُّد أنواعِها وتعدُّدِ القائمين بحفظها، وذلك تنصيص على العموم[٢]، والحكمة في جمع الله تعالى الأمانة دون العهد – والله أعلم – أن الأمانة أعمّ من العهد، ولذا فكُلُّ عهد أمانة»[٣].

• وقد ربط النبي ﷺ بين الأمانة والإيمَان أيّما رباط، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلمُ من سَلِم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أَمِنه الناس على رعائهم وأموالهم**»[٤].

• وقال ﷺ: «**المؤمن من أَمِنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هَجَر الخطايا والذنوب**»[٥].

• وعن أنس رضي الله عنه قال: ما خطبنا رسول الله إلَّا قال: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهدَ له**»[٦].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٤٦٣).

(٢) «تفسير التحرير والتنوير» (١٨/ ١٦).

(٣) «فتح القدير» للشوكاني (٣/ ٦٤٦).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذي (٢٦٢٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي (٨/ ١٠٤، ١٠٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٦)، والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، ورواه الطبراني في «الكبير» عن «واثلة»، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٣٢)، و«صحيح الجامع» (٦٧١٠).

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه عن فضالة بن عبيد، وكذا رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٤٩)، و«صحيح الجامع» (٦٦٥٨).

(٦) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٣٥ و١٥٤ و٢١٠)، وابن حبان في «صحيحه» وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٣٥)، و«تخريج الإيمان» لابن أبي شيبة (٧)، و«صحيح الجامع» (٧١٧٩).

الأمانة جالبة لمحبة الله ورسوله ﷺ:

• قال رسول الله ﷺ: «**مَن سَرَّهُ أن يُحِبَّهُ الله ورسوله فليَصْدُق حَدِيثَهُ إذا حدَّث، وليُؤَدِّ أمانَتَه إذا ائتُمِن**»(١).

الأمانة وَصِيَّةٌ يتواصى برعايتها المسلمون:

• ففي حديث قزعة قال: قال لي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: هَلُمَّ أُوَدِّعك كمَا وَدَّعني رسول الله ﷺ: «**أستودِع الله دينك وأَمَانتَكَ، وخواتيمَ عَمَلِك**»(٢).

ولفظ الترمذي: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول للرَّجُل إذا أراد سَفَرًا: ادْنُ مني أُوَدِّعْك كمَا كان رسول الله يُوَدِّعنا: «**أستودِعُ الله دينَك وأمانتك وخواتيم عملك**».

• وعن عبد الله بن يزيد الخطمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ: كان إذا أراد أن يستودع الجيش قال: «**أستودِعُ الله دينكُم، وأمانَتكُم، وخواتيم أعمالِكم**»(٣).

---

(١) حسن: أخرجه اليهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٠١) برقم (١٥٣٣)، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» برقم (٢٦٦، ٢٧٣) مرسلاً عن الزهري من حديث عبد الرحمن بن أبي قراد، وذكره السيوطي في «الجامع الكبير» (١/ ٧٨٤)، والخطيب في «مشكاة المصابيح»، وحسنه الألباني في «تحقيق مشكاة المصابيح»، رقم الحديث (٤٩٩٠) (٣/ ١٣٩١).

(٢) صحيح: رواه أبو داود في كتاب الجهاد – باب في الدعاء عند الوداع، (٢٦٠٠)، ورواه الترمذي (٣٤٤٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤)، و«صحيح سنن أبي داود» (٢/ ١٢٢ - ١٢٣)، و«صحيح الجامع» (٩٥٧).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢٦٠١)، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، و«الصحيحة» (١٥)، و«صحيح الجامع» (٤٦٥٧).

والأمانة فرض:

* قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾ [النساء].

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لم يُرخِّص الله تعالى لموسِرٍ ولا مُعْسِر أن يمسكَ الأمانة»(١).

□ وقال القرطبي: «هذه الآية من أمهات الأحكام، تضمَّنت جميع الدين والشَّرائع»(٢).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَدِّ الأمانةَ إلى من ائتمنكَ، ولا تَخُنْ من خانكَ**»(٣).

يجب أداء الأمانة حتى مع المخالفين في الدين، وحذّر النبي ﷺ من الخيانة عمومًا، ولا يتوقّف التحذير على مجرّد الخيانة، بل يشمل خيانة من خان في أمرٍ ما، وذلك بأن يُقابل بالمِثْل؛ لأن «الخيانة ليست من الاعتداءات التي تُقابل بالمثل»(٤).

□ قال ميمون بن مهران: «ثلاثة يُؤَدَّين إلى البر والفاجر: الأمانة،

---

(١) «تفسير البحر المحيط» (٣/ ٢٨٩).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٥/ ٢٤٥).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤)، وقال: حسن غريب، والبخاري في «التاريخ»، والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة. ورواه الدارقطني، والضياء عن أنس، والطبراني في «المعجم الكبير» عن أبي أمامة، وأبو داود عن رجل من الصحابة، والدارقطني عن أبيّ بن كعب، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٢٤)، و«صحيح لجامع» (٢٤٠).

(٤) «الفضائل الخلقية في الإسلام» (ص٢٣٨).

والعهد، وصلة الرَّحم»[١].

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلُّكم راعٍ، وكُلُّكم مسؤول عن رعيّته، فالإمام راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته، والرَّجُل راعٍ في أهله، وهُو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيِّده، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته، فكلكم راعٍ،وكلكم مسؤول عن رعيته**»[٢].

• ولفظ مسلم: «**ألا كُلُّكُم رَاعٍ، وكُلُّكُم مسؤولٌ عن رَعيَّتِه، فالأميرُ الذي على الناس رَاعٍ، وهو مسؤولٌ عن رعيَّته، والرجلُ رَاعٍ على أهل بَيتِه، وهُو مسؤُولٌ عنهم، والمرأةُ رَاعِية على بَيتِ بَعلِها وولَدِهِ، وهي مسؤولةٌ عنهم، والعبدُ راعٍ على مالِ سَيدِه، وهو مسؤُولٌ عنه. ألا فكُلُّكُم راع، وكُلُّكم مسؤُولٌ عن رعيته**»[٣].

والرعاية بمعنى الحفظ والأمانة [٤]، فكلّ هؤلاء المذكورين في الحديث رعاةً وحكامًا على اختلاف مراتبهم، مُؤتمنون بأمانات يجب الوفاء بها، قال النووي في شرحه للحديث: «الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره، ففيه أَنَّ كل من كان

---

(١) «التفسير الكبير» للفخر الرازي (١٠/ ١١٢).

(٢) رواه أحمد، والبخاري في كتاب «الجمعة»، باب الجمعة في القرىٰ والمدن (٨٩٣)، ورواه مسلم في كتاب «الإمارة»- باب فضيلة الإمام العادل (١٨٢٩)،ورواه أبو داود، والترمذي.

(٣) مسلم (١٨٢٩).

(٤) «بهجة النفوس وتحلّيها بمعرفة ما لها وعليها» لعبد الله بن أبي جمرة (٢/ ٤٦).

تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته»[(١)].

الأمانة والرحم على جنبتيْ الصراط:

يا لَعِظم الأمانة والرَّحِم عند الله وكبير موقعهما عند مالك الملوك ﷻ، يصورهما الله ﷻ مشخَّصتيْن على الصفة التي يريدها الله.. فأعدّ لهذا الموقف رعاية للأمانة سهَّل الله لنا ولك مرورًا على الصراط:

• عن حُذيفةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتَّى تُزْلَفَ[(٢)] لهم الجنَّةُ. فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفْتحْ لنا الجنَّة. فيقول: وهل أخرجكم من الجنَّةِ إلَّا خطيئةُ أبيكم آدم، لستُ بصاحبِ ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله. قال: فيقول إبراهيمُ: لستُ بصاحب ذلك، إنَّما كنت خليلًا من وراءَ وراءَ[(٣)]، اعمدوا إلى موسى عليه السلام الذي كلَّمَهُ اللهُ تكليمًا. فيأتون موسى عليه السلام فيقول: لستُ بصاحبِ ذلك. اذهبوا إلى عيسى كلمةِ الله وروحِهِ. فيقولُ عيسى عليه السلام: لستُ بصاحبِ ذلك. فيأتُون محمَّدًا ﷺ فيقوم فيؤذن له. وترسل الأمانَةُ والرحمُ فتقومان جنبتي الصِّراطِ يمينًا وشمَالًا. فيمُرُّ أولكم كالبرقِ**». قال: قلت: بأبي أنت وأمي أيُّ شيءٍ كمرِّ البرقِ؟ قال: «**ألم تروا إلى البرق كيف يمُرُّ ويرجعُ في طرفةِ عينٍ؟ ثمَّ كمرِّ الرِّيحِ. ثمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وشدِّ الرِّحالِ[(٤)]**

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٢١٣).

(٢) تُزْلَف: تُقَرَّب.

(٣) وراء وراء: كلمة مُؤكدة كشذر مذر، وشغر مغر، فركَّبها وبناهما على الفتح.

(٤) شدّ الرِّحال: الشدُّ هو العَدْوُ البالغ الجرْي.

تَجْري بهم أعمالهم [١] ونبيُّكم قائمٌ على الصِّراطِ يقول: ربِّ سلِّمْ سلِّمْ حتى تعجز أعمالُ العبادِ حتى يجيءَ الرَّجُلُ فلا يستطيع السير إلَّا زحفًا». قال: «وفي حافتي الصِّرَاط كلاليبُ معلَّقةٌ مأمورةٌ بأخذ من أمرتْ به. فمخْدُوشٌ ناجٍ ومكْدُوسٌ [٢] في النَّار»[٣].

الأمين في سبيل الله:

• عن رافعِ بنِ خَدِيج رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العامِلُ على الصَّدَقةِ بالحقِّ كالغازي في سبيل الله حتى يرجعَ إلى بيتهِ»[٤].

ثناء الرسول ﷺ على الأمناء:

• أثنى النبي ﷺ على أمانة الأزد [٥] فقال ﷺ: «المُلْك في قريش، والقضاء في الأنصار، والأذان في الحبشة، والأمانة في الأزد» يعني اليمن[٦].

---

(١) تجري بهم أعمالهم: هو تفسير لقوله ﷺ: «فيمرُّ أولكم كالبرق، ثم كمرِّ الريح».

(٢) مكدوس في النار: أي مدفوع فيها.

(٣) رواه مسلم (١٩٥).

(٤) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود في كتاب الخراج- باب في السُّعاة على الصدقة، رقم الحديث (٢٩٣٦)، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم (١/ ٤٠٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٢٢٨)، و«صحيح الترغيب» (٧٧١)، و«تخريج المشكاة» (١٧٨٥)، و«صحيح الجامع» (٤١١٧).

(٥) يُقال: الأزدي: مِن أزْد شنوءة، قبيلة يقال لها: الأزد، والأسد، وهم من اليمن انظر كتاب «الأنساب» للسمعاني (١/ ٩٦)، و«شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٢١٩).

(٦) صحيح: رواه أحمد والترمذي في كتاب «المناقب»- باب فضل اليمن (٣٩٣٦) عن أبي هريرة، وصححه السيوطي، وصححه الألباني في «صحيح سنن =

• وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الخازنُ الأمين الذي يُؤَدِّي ما أُمِرَ به طيِّبَةً نفسُهُ أحَدُ المتصدِّقين**»(١).

• وقال ﷺ: «**الخازن المسلم الأمينُ الذي يُعْطي ما أُمِر به كاملًا موفَّرًا طيِّبَة به نفسُه فيدفعُهُ إلى الذي أُمِرَ لَهُ به؛ أحدُ المُتصدِّقين**»(٢).

• وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أرعى غنمًا لعقبة بن أبي مُعَيْطٍ فمرَّ بي رسول الله ﷺ وأبو بكرٍ، فقال: «**يا غلامُ، هل منْ لبنٍ؟**» قال: قلت: نعم. ولكنِّي مؤْتَمَنٌ. قال: «**فهل منْ شَاةٍ لم يَنْزُ**(٣) **عليها الفحْلُ؟**» فأتيتُهُ بشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَها، فنزل لبنٌ، فحلَبَهُ في إنَاءٍ، فشربَ وسقَى أبا بكرٍ. ثمَّ قال للضَّرْعِ: «**اقْلِصْ**» فَقَلَصَ(٤). قال: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بعد هذا. فقلتُ: يا رسول الله، علِّمني من هذا القول، قال: فمسح رأسي، وقال: «**يرحمُكَ اللهُ، فإنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ**»(٥).

«فمع أن عبد الله غلامٌ صغير إلَّا أنه بفطرته النقيّة قال: إنه مؤتمن على

الترمذي» و«الصحيحة» (١٠٨٣)، و«صحيح الجامع» (٦٧٢٩).

(١) رواه البخاري (٢٢٦٠)، ومسلم (١٠٢٣)، واللفظ له.

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي.

(٣) نزا عليها الفَحْل أي وثب.

(٤) فقَلَص: أي اجتمع.

(٥) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (٣٥٩٨) وقال الشيخ أحمد شاكر (٥/ ٢١٠): إسناده صحيح. وجاء بإسناد بعده. قال: فأتاه أبو بكر بصخرة منقورة، فاحتلب فيها وشرب، وشرب أبو بكر وشربت. قال: ثم أتيته بعد ذلك. قلت: علِّمني من هذا القرآن، قال: إنك غلامٌ مُعَلَّم. قال: فأخذتُ من فيه سبعين سورة.

المَاشية ولبنها. ولم يفرِّطَ في الأمانة، رغم شرك عقبة وأذاه للمسلمين»[١].

الأمانة صفة الأنبياء:

□ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «أخبرني أبو سفيان أنَّ هِرَقْلَ قال له: سألتُك ماذا يَأْمُرُكم فزعمت أنه يأمُر بالصلاة والصِّدْق والعفاف والوفاء بالعَهْد وأداءِ الأمانة. قال: وهذه صفةُ نَبِيٍّ»[٢].

□ وعن أم سلمة رضي الله عنها في حديث هجرة الحبشة، ومن كلامِ جعفَرٍ في مخاطبة النجاشيِّ. فقال له: أيُّها الملك، كنَّا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكلُ الميتةَ، ونأتي الفواحِشَ، ونقْطَعُ الأرحام، ونسيءُ الجوار، يأكل القويُّ منا الضعيف، فكنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منَّا، نعرفُ نسبَهُ وصدْقَهُ وأمانتهُ وعفافه فدعانا إلى الله، لنوحِّدَهُ ونعبده ونخلع ما كُنَّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث. وأداءِ الأمانةِ، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدِّماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزُّور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحدهُ ولا نشركَ به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزَّكاةِ والصِّيامِ، قال: فعدَّد عليه أمُورَ الإسلام، فصدَّقْنَاهُ وآمَنَّا، واتَّبعْنَاهُ على ما جَاءَ به..» الحديث[٣].

(١) انظر «الربَّانيون قدوة وعمل» لمحمد أديب صالح (ص١٤١- ١٤٢).

(٢) رواه البخاري (٦)، ومسلم (١٧٧٣).

(٣) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٠٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٣/ ١٨٠): إسناده صحيح، وهو في «سيرة ابن هشام» (٢١٧- ٢٢١) عن ابن إسحاق، والحديث بطولة في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٤- ٢٧)، وقال: رواه =

وأداء الأمانة سبب لدخول الجنة:

• عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خمسٌ من جاءَ بهنَّ من إيمانٍ دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئِهنَّ وركوعِهنَّ وسجودِهنَّ ومواقيتِهنَّ، وصامَ رمضان، وحجَّ البيت إن استطاع إليه سبيلًا وأعْطى الزكاةَ طيِّبةً بها نفسه. وأدَّى الأمانَةَ**». قالوا: يا أَبا الدرداءِ: وما أَداءُ الأمانةِ؟ قال: الغُسلُ من الجَنابَةِ[(١)].

• وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اضمنوا لي ستًّا من أنفسِكُم أضمنْ لكم الجنَّة؛ اصدقُوا إذا حدَّثتُم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا ائتمنتُم، واحفظوا فروجكم، وغضُّوا أبصاركم، وكفُّوا أيديكُمْ**»[(٢)].

• وقال رسول الله ﷺ: «**التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصِّدِّقين والشهداء**»[(٣)].

أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرّح بالسماع.

(١) حسن: رواه أبو داود (١/ ٤٢٩)، وقال الألباني (١/ ٨٧): حسن، وأورده في «مجمع الزوائد» (١/ ٤٧) إلا أن السؤال وقع للنبي ﷺ لا لأبي الدرداء وزاد بعدها: «إن الله لم يأمن بني آدم علىٰ شيء من دينه غيرها»، وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وإسناده جيد.

(٢) حسن: رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٢٣)، وابن حبان، والحاكم (٨١٣٠) (٥/ ٥١٣)، وحَسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٤٧٠)، و«صحيح الجامع» (١٠١٨).

(٣) جيد: رواه الترمذي (١٢٠٩) في كتاب البيوع- باب ما جاء في التجار، وقال عنه: حديث حسن، ورواه ابن ماجه (٢١٣٩) في كتاب التجارات- باب الحث علىٰ المكاسب عن ابن عمر بلفظ «**التاجر الأمين الصدوق المسلم، مع الشهداء**
=

أداء الأمانة لسبب للعُلوّ والنفع والسعادة في الدنيا:

□ قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «أربع خلال إذا أُعطيتَهُنَّ فلا يَضُرُّك ما عُزل عنك من الدنيا، حُسْنُ خَلِيقةٍ، وعَفافُ طُمعة، وصِدْق حديثٍ، وحفظ أمانة»[(١)].

□ وعن نافع مولى ابن عمر رضي الله عنه قال: «خرج عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في بعض نواحي المدينة، ومعه أصحابٌ لهُ، ووضعوا السفرة لَهُ، فمر بهم راعي غنم، فَسَلَّمَ، فقال ابن عمر: هَلُمَّ يا راعِ فأصب من هذه السفرة. فقال له: إني صائم. فقال ابن عمر: أتصوم في مثل هذا اليوم الحار الشديد سمومه، وأنت في هذه الحال ترعى الغنم؟ فقال: والله إني أبادر أيامي الخالية. فقال لَهُ ابن عمر وهو يريد أن يختبر ورعه – وأمانته –: فهل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه فنعطيك ثمنها ونعطيك من لحمها ما تفطر عليه؟ قال: إنها ليست لي بغنم، إنها غنم سيدي. فقال له ابن عمر: فما يفعل سيدك إذا فقدها؟ فولى الراعي عنه، وهو يرفع أصبعه إلى السمَاء، وهو يقول: فأين الله؟ قال: فجعل ابن عمر يردد قول الراعي، يقول: قال الراعي: أين الله؟. قال: فلمَّا قدم المدينة بعث إلى مولاه، فاشترى منه الغنم والراعي، فأعتق الراعي ووهب له الغنم»[(٢)].

يوم القيامة». وأشار الألباني إلى ضعفه في «جامع الترمذي» (ص٢١٥)، وللحديث شواهد كثيرة، منا ما رواه الحاكم في «المستدرك» (٢١٨٧) (٢/ ٢٩٥- ٢٩٦)- كتاب البيوع- وقال الذهبي: هو حديث جيد الإسناد، صحيح المعنى، انظر: «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» (٤/ ٣٣٣).

(١) «الأدب المفرد» (ص١٠٩).

(٢) «أسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٤١). وهي قصة صحيحة.

* ولأداء الأمانة أثر في تحقق سعادة المرء في الدنيا، وتثبيت الله تعالى له، وحفظه في أهله وماله في حياته وبعد وفاته، وقد أخبرنا الله تعالى في قصة الخضر مع موسى عليه السلام حفظ أموال اليتيمين لصلاح أبيهمَا، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف].

□ عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ قال: كان يؤدي الأمانات والودائع إلى أهلها، فحفظ الله تعالى له كنزه، حتى أدرك ولداه، فاستخرجا كنزهما»[1].

انظر من يبني جدار اليتيمين لأمانة والدهمَا.. إنهمَا نبيّان كريمَان على الله.. فانظر جلالة الأمانة وعظمها.

□ وقد سأل بعض خلفاء بني العبّاس بعض العلمَاء أن يُحدِّثه عمن أدرك، فقال: «أدركت عمر بن عبد العزيز، قيل له: يا أمير المؤمنين أقفرت أفواه بنيك من هذا المَال، وتركتهم فقراء لا شيء لهم؟ - وكان في مرض موته- فقال: أدخلوهم علي، فأدخلوهم، وهم بضعة عشر ذكرًا، ليس فيهم بالغ، فلمَّا رآهم ذرفت عيناه، ثم قال: يا بني، والله ما منعتكم حقًّا هو لكم، ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس فأدفعها إليكم، وإنمَا أنتم أحد رجلين: إما صالح؛ فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح، فلا أخلف لَهُ ما يستعين به على معصية الله تعالى، قوموا عني. قال: فلقد رأيت بعض بنيه حمل على مئة فرس في سبيل الله؛ يعني أعطاها

(١) «حلية الأولياء» (٤/ ٢٨٧).

لمن يغزو»[١].

وبأمانة التُّجَّار المسلمين وصدقهم دخل الناس في دين الله أفواجًا:

إن أثر التجار الأمناء الصادقين في انتشار الإسلام لا يقلّ عن أثر الجيوش في الفتوحات الإسلامية، بل إنه فاق أثر هذه الجيوش، ووصل إلى مناطق لم تدخلها جيوش المسلمين، وإنمَا دخلها التجار المسلمون بأمانتهم كمناطق جنوب شرق آسيا، وغرب أفريقيا، ووسطها.

ولمكارم الأخلاق وعلى رأسها الأمانة أسرع كرام الناس إلى اعتناق الإسلام لدعوته إليها..

وما أسلم صفوة الصحابة على يد أبي بكر الصِّدِّيق إلَّا لمَا عهدوه فيه من خُلُق وأمانة فأسلم على يديه عثمان بن عفان، والزبير بن العوّام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم إلَّا لمخالطتهم الصِّديق التاجر الأمين وما لمسوه من أخلاقه الكريمة..

ولمَا سمع حكيم العرب أكثم بن صيفي قول الله عز وجل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل]، قال لقومه: «أيْ قوم، إنه يأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رؤساء، ولا تكونوا فيه أذنابًا»[٢].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٤٩).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٩٦)، و«أسد الغابة» (١/ ١١٢)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (١/ ١١٠) وأكثم بن صيفي التميمي: أحد المعمَّرين أدرك الإسلام، وخرج يريد النبي ﷺ، ومعه مئة من قومه، فمات في الطريق، وأمراض به أن =

لا عليك ما فاتك من الدنيا إنْ كنت أمينًا:

• قال رسول الله ﷺ: «أربع إذا كُنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: صِدْقُ الحديث، وحِفْظ الأمانةِ، وحُسن الخُلُقِ، وعفَّةُ مَطْعَم»[(١)].

ضياع الأمانة من علامات النفاق، وفساد الزمان، وعلامة من علامات الساعة:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّثَ كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتُمِن خان»[(٢)].

• وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان مُنافقًا خالِصًا، ومَن كانت فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كانت فيه خَصْلَةٌ مِن النِّفَاقَ حتى يَدَعَها: إذا اؤتُمِن خان، وإذا حَدَّث كذب، وإذا عاهد غدَر، وإذا خاصمَ فَجَر»[(٣)].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيأتي على الناس سنواتٌ خدَّاعاتٌ، يُصَدَّق فيها الكاذبُ، ويُكَذَّب فيها الصادقُ، ويُؤتَمَنُ فيها الخائنُ، ويُخَوَّنُ فيها الأمينُ، وينطق فيها الرُّويبضة». قيل: وما

يقدموا على رسول الله ﷺ ويُعلِموه بإسلامه. انظر: «أسد الغابة» (١/ ١١٢).

(١) صحيح: رواه أحمد، والحاكم، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عمر، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» عن ابن عمرو، ورواه ابن عدي، وابن عساكر عن ابن عباس، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٣٣)، و«صحيح الجامع» (٨٧٣).

(٢) رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، والترمذي، والنسائي.

(٣) رواه البخاري (٣٤) واللفظ له، ومسلم.

الرُّويبضة؟ قال: «**الرجل التافه يتكلَّم في أمرِ العامة**»(١).

• وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف بكمْ، وبزمانٍ يُوشِكُ أنْ يأتيَ يُغَرْبَلُ الناسُ** (٢) **فيه غربلةً، ثمَّ تبْقى حُثَالةٌ** (٣) **من الناس قدْ مرجَتْ** (٤) **عهودهم وأماناتهم، فاخْتلَفُوا هكذا** – وشَبَّكَ بين أصابعهِ- قالوا: كيف بنا يا رسولَ الله إذا كان ذلك؟ قال: «**تأخذون بمَا تعرفون، وتدعُونَ ما تنْكِرون، وتقْبِلون على خاصَّتِكم، وتذرون أمر عوامِّكم**»(٥).

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّهُ سمع رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ يُبغضُ الفُحْشَ والتَّفحُّشَ. والذي نفسُ محمَّدٍ بيده لا تقوم الساعةُ حتَّى يُخوَّنَ الأمينُ، ويُؤْتمن الخائِنُ. حتَّى يظهر الفُحْشُ والتَّفحشُ. وقطعيةُ الأرْحَامِ وسوء الجوار. والذي نفس محمدٍ بيده إنَّ مثل المؤمن لكمثل القطعة من الذَّهبِ، نفخَ عليها صاحبها فلمْ تغيَّرْ ولم تنقصْ. والذي نفسُ**

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٩١، ٣٣٨)، وابن ماجه في «الفتن» (٤٠٣٦)، والحاكم (٤/ ٤٦٥، ٤٦٦)، وصححه ووافقه الذهبي، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٨٨)، و«صحيح الجامع» (٣٦٥٠).

(٢) يغربل الناس: يذهب خيارهم، ويبقىٰ شرارهم.

(٣) حثالة من الناس: الحُثالة: الردئ من كل شيء.

(٤) مرجت: اختلفت وفسدت.

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٩٥٨) واللفظ له، وأبو داود (٤٣٤٣)، وأحمد، والحاكم، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٥)، و«صحيح الجامع» (٤٥٩٤)، وقال الشيخ شاكر (٧٠٤٩): إسناده صحيح.

محمدٍ بيده إنَّ مثل المؤمن لكمثلِ النحلةِ أكلتْ طيِّبًا. ووضعت طيِّبًا. ووقعتْ فلم تكْسِرْ ولم تفسد..». قال وقال: «**ألا إنَّ لي حوضًا ما بين ناحيتَه كما بين أيلة إلى مكَّة**»، أو قال: «**صنعاء إلى المدينة، وإنَّ فيه من الأباريقِ مثل الكواكبِ، هو أشدُّ بياضًا من اللبنِ وأحْلَى من العسل. ومن شربَ منهُ شربة لا يظمأُ بعدها أبدًا**»(١).

• وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يُطبَعُ المؤمِنُ على كُلِّ خُلَّةٍ غيرَ الخيانة والكذب**»(٢).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينمَا النبيُّ ﷺ في مجلسٍ يحدِّثُ القوم جاء أعرابيٌّ فقال: متى الساعة؟ فمضى رسولُ الله ﷺ يُحَدِّثُ. فقال بعض القومِ: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمعْ. حتى إذا قضى حديثه قال: «**أينَ أراهُ السَّائِلُ عن الساعةِ؟**» قال: ها أنا يا رسول الله. قال: «**فإذا ضُيِّعَتِ الأمانَةُ فانتظر الساعة**». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهْلِهِ فانتظر الساعة**»(٣).

---

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٢، ١٩٩، ٢٣٨)، وقال الشيخ أحمد شاكر (١١/ ٩٠): إسناده صحيح. وروىٰ ابن ماجه (٤٠٣٦) نحوه عن أبي هريرة.

(٢) سنده قوي: رواه البيهقي في «سننه» (١٠/ ١٩٧)، والبزار في «كشف الأستار» (١٠٤)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٧١١). وذكره ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٥٠٨) وقال: سنده قوي. ونقل المناوي في «فيض القدير» (٦/ ٤٦٣) عن المنذري قوله: رواته رواة الصحيح، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١/ ٩٢): رجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه البخاري (٥٩).

العرب والأمانة:

□ عن عائشة رضي الله عنها: «لقد جاء الإسلامُ وفي العرب بضع وستون خصلة، كلها زادها الإسلام شِدَّةً، منها قرى الضيف، وحُسْن الجوار، والوفاء بالعهد»[(١)].

وقد أشاد المجتمع العربي بالأمانة، ورفع مكانة الأمين والأمناء، وجعلها من الصفات الرئيسة التي يسود بها شيوخ القبائل[(٢)].

□ ومن أقوال شعراء العرب في الثناء على الأمانة بيت لبيد:

وإذَا الأمانَـــةُ قُـــسِّمَتْ في مَعْـــشَرٍ أَوْفَى بِـــأَوفَر حَظِّنـــا قَـــسَّامُهَا[(٣)]

□ وقال زهير:

وحِفْظِـي للأمانَـةِ واصْـطِبَارِي على مَا كانَ مـن ريـبِ الزَّمَـانِ[(٤)]

□ وقال النابغة:

سأرعى كل ما استودعت جهدي وقـد يرعـى أمانتـه الأمـين[(٥)]

وما قصة أمانة السموْأَل ووفائه في عدم التفريط بالأمانة، والتي يضرب بها المثل، إلَّا صورة رائعة من صور الأمانة والوفاء في المجتمع.

---

(١) «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (ص٤١).

(٢) «موسوعة القيم والأخلاق العربية والإسلامية» بإشراف د. مرزوق بن تذباك (٩/ ٢٦).

(٣) «ديوان لبيد» (ص١٨٠).

(٤) «ديوان زهير» (ص١٠٢).

(٥) «ديوان النابغة» (ص٢٦٢).

أمانة هانئ بن مسعود الشيباني في الجاهلية وانتصار العرب على الفُرس في يوم ذي قار[١]:

«وما اشتهر عن العرب في يوم ذي قار؛ الذي انتصر فيه العرب على الفرس، وذلك أن كسرى لمَا طلب مصاهرة النعمَان بن المنذر – وكان عاملًا لَهُ–، فرفض النعمَان، ثم أدرك أن كسرى سينتقم منه، فجعل يستعد ويتوقع حتى أتاه كتاب كسري: أن أقبل فإن للملك إليك حاجة، فطفق النعمَان يطوف قبائل العرب مستجيرًا، ولم يجره غير هانئ بن مسعود الشيباني، وأودعه دروعًا وودائع، فلمَّا قبض كسرى على النعمَان قتله، واستعمل إياس بن قبيصة على الحيرة، وبعث يطلب ما خلفه النعمَان، فبعث إياس إلى هانئ يأمره أن يرسل إليه ما استودعه من الدروع وغيرها، فرفض هانئ تسليم الأمانة التي عنده، فاجتمع العرب وقاتلوا الفرس فانتصروا في يوم ذي قار. وهذا اليوم يُعد مفخرة للعرب ترويها الأجيال للأجيال تربيةً واعتزازًا بالأمانة»[٢].

وكان النبي ﷺ معروفًا قبل البعثة بالأمانة، وما عرفت مكة أمينًا مثله ﷺ حتى سمّوه – قبل نبوته- بالأمين:

□ قال فيه عمه أبو طالب:

إن الأمـــين محمَّـــدًا في قومِـــه ... عنـــدي يفـــوقُ منـــازلَ الأولادِ

---

(١) «نسبة للواقعة بين بكر بن وائل والفرس». وذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة.

(٢) «الأمانة في الإسلام» (ص٣٧- ٣٨).

□ وقال أحمد شوقي واصفًا النبي ﷺ بالأمين:

لقَّبتمـوه أمـينَ القـوم في صِـغَرٍ وما الأمـينُ عـلى قـولٍ بِمُـتَّهَمِ

ولا أدل على ذلك من أنَّ ليس بمكة أحدٌ عنده شيء يخشى عليه إلَّا وضعه عنده، لمَا يعلم من أمانته [(١)]، حتى أن قريشًا قد شهدت له بالأمانة، في حادثة عند بناء الكعبة لمَا اختلفت وتَحَازَبت [(٢)] فيمن يضع الحجر، وحكموا أول داخل عليهم، فإذا هو محمد ﷺ - قبل نبوته- فقالوا: «هذا محمد الأمين قد رضيناه»[(٣)].

---

(١) «سيرة النبي ﷺ» لابن هشام (٢/ ٩٨).

(٢) تحازبت: صارت أحزابًا وفرقًا.

(٣) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (١/ ١٧٢).

علو الهمة في مجالات الأمانة

الأمانة في العقيدة:

• قد مر معنا حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ الأَمَانَة نَزَلَت في جذْرِ قُلوبِ الرِّجَالِ**»، وهو يدل على أن الأمانة تكون في الإيمَان.

□ قال المباركفوري: «هي عين الإيمَان، أو كل ما يخفى ولا يعلمه إلَّا الله من المكلف..»[١].

□ وقال ابن تيمية في قوله ﷺ: «**نَزَلتْ في جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ**»: «أي تنزل في قلوب المؤمنين من نوره وهداه..، وهو الإيمَان الذي هو إفضال المنعم، وهو أفضل النعم»[٢].

• والإيمَان وثيق الصلة بالأخلاق، وملازم لها تلازم الروح بالجسد، يقول رسول الله ﷺ: «**أَكْمَلُ المُؤمِنِين إِيمَانًا أحسَنُهُم خُلُقًا، وخِيَارُهُم خِيارُهُم لِنِسَائِهم**»[٣]، ويتعلق ابن تيمية على الحديث بقوله: «فجعل كمَال الإيمَان في كمَال حسن الخلق»[٤].

□ ويصف الطحاوي أهل السنة بأنهم يحِبُّون أهلَ العدل والأمانة،

---

(١) «تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي» (٦/ ٤٠٤) للمباركفوري.

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٥/ ١٠٠).

(٣) صحيح: رواه أبو داود في كتاب «السنة»، باب الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه، رقم الحديث (٤٦٨٢)، وصححه الألباني «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ١٤١).

(٤) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٦٥٩).

ويبغِضُون أهلَ الجَوْر والخيانة»[١].

وحيث إن الأمانة من الأخلاق الإسلامية العظيمة التي ينضوي تحتها جميع أحوال العبد الدينية والدنيوية، فإن القيام بالأمانة من الإيمَان، والتفريط بها دلالة على ضعف الإيمَان، فالأمانة والإيمَان بينهمَا ترابط شديد، يدل عليه حديث أنس بن مالك ﷺ: ما خطبنا رسول الله ﷺ إلَّا قال: «لا إيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَه، وَلا دِينَ لِمَن لا عَهْدَ لَه»[٢]، فقد ربط النبي ﷺ الأمانة وكون الإنسان مأمون الجانب بالإيمَان [٣]، وأن اختلال الأمانة مؤثر في صحة الإيمَان، فهنا النفي ليس نفي مطلق الإيمَان، ولكن لفظ الكمَال والتمَام [٤]، ويؤيد هذا أيضًا ما جاء عن عروة [٥] قوله: «ما نقصت أمانة الرجل إلَّا نقص إيمَانه»[٦]، ومِمَا يُعَضِّد ارتباط الأمانة بالإيمَان، تفسير الأمانة بالإيمَان في جملة من الأحاديث عند شرّاح السنة، من ذلك ما ذكره الأصبهاني أن الأمانة هي: «عين الإيمَان، فإذا استمكنت الأمانة من قلب العبد، قام حينئذ بأداء ما أُمِرَ به، واجتنب ما نُهِيَ عنه»[٧]، وللفيروزآبادي كلام في ارتباط الأمانة بالعقيدة، إذ يقول في معنى قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾: «أي النية التي

---

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٥٤٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: «الأخلاق الإسلامية وأسسها» (١/ ٦٤٧).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٤٧)، و«فتح الباري» (١/ ٥٧).

(٥) ابن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، (أبو عبد الله المدني).

(٦) «الإبانة» لابن بطة، تحقيق: رضا بن نعسان معطي (٢/ ٨٥٢).

(٧) «شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٦٨)، و«فتح الباري» (١٣/ ٤٠).

يعتقدها فيمَا يظهره باللسان من الإيمَان، ويؤديه من جميع الفرائض في الظاهر؛ لأن الله تعالى ائتمنه عليها.. فمن أضمر من التوحيد مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة»[(١)].

أمانة الإيمان بالله تعالى:

«والأمانة في هذا الركن تقتضي أن يؤمن الإنسان بمَا ورد في الكتاب والسنة، ممَا يجب لله ﷻ من التوحيد الكامل والعبودية التامة وإثبات أسمَائه وصفاته، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل[(٢)]، فعن أبي هريرة ﷺ، أنه «قرأ الآية: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء]، وقال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يضع إبهَامَهُ على أُذُنِهِ، والتي تَلِيهَا على عَيْنه، قال أبو هريرة ﷺ: رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضعُ إِصْبَعَيهِ»[(٣)].

والمعنى أنه ﷺ وضع سبابتيه على عينيه وإبهاميه على أذنيه، تأكيدًا أن الله ﷻ يسمع ويرى، سمعًا وبصرًا حقيقيين، فاعلموا أن الله يسمعكم ويراكم فاتَّقُوا الله وأَدُّوا الأمانة[(٤)]» اهـ[(٥)].

---

(١) «القاموس المحيط» (ص١٥١٨).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣).

(٣) صحيح: رواه أبو داود في كتاب «السنة»- باب في الجهمية رقم الحديث (٤٧٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ١٥٦).

(٤) انظر: «تقريب وترتيب شرح العقيدة الطحاوية» - حاشية (١/ ٤٩٧).

(٥) «الأمانة في الإسلام» (ص١٢٥).

أمانة الإيمان بالملائكة:

من الأمانة في الإيمَان بالملائكة أن نعرف النصوص التي وردت في شأن الملائكة عليهم السلام في الكتاب والسنة، ونوفق بينها.

* ومن الأمانة أن نتولى الملائكة الكرام بالحب والتوقير، وأن نتجنب الإساءة إليهم أو إذايتَهُمْ، خلافًا لمَا زعم اليهود أن جبريل عليه السلام عدو لهم، وأن ميكائيل عليه السلام وَلِيٌّ لهم، فكذَّبهم الله سبحانه في قوله تعالى[١]: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة][٢].

أمانة الإيمان بالكُتب السماوية المُنَزَّلة:

□ قال ابن أبي العز الحنفي: «وأما الإيمَان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بمَا سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبًا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسمَاءها وعددها إلَّا الله تعالى»[٣].

* وقد تكفل المولى عز وجل بحفظ القرآن العظيم، وما عداه من التوراة والإنجيل وَكِلَ حفظها إلى الربانيين والأحبار من اليهود والنصارى، ولكنهم حرَّفوها وبدَّلوها وغيروها وزادوا فيها ونقصوا، قال جل جلاله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٧٧).

(٢) «الأمانة في الإسلام» (ص١٢٨).

(٣) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (ص٤٢٣).

بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة]، واختص المولى ﷻ القرآن الكريم بالحفظ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر]، وجعله آخر الكتب المنزلة، وأعظمها والناسخ لجميعها.

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «القرآن أمينٌ على كل كتاب قبله»(١).

□ وقال ابن جريج: «القرآن آمينٌ على الكتب المتقدمة، فمَا وافقه منها فهو حقٌّ، وما خالفه فهو باطلٌ»(٢).

* فأمانة الإيمَان بكتاب الله ﷻ، تقتضي الاحتكام إليه في كل شؤون الحياة وقضاياها، صغرت أم كبرت، قال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة].

ومن أمانة الإيمَان بكتاب الله تعالى، وتلاوته، وحفظه، والقيام به آناء الليل وأطراف النهار، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والوقوف عند حدوده»(٣).

أمانة الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام:

* الإيمَان بالرسل -عليهم الصلاة والسلام- هو الركن الرابع من

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٢٧).

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٢٨).

(٣) «الأمانة في الإسلام» (ص١٣٠).

أركان الإيمَان، فنؤمن بهم جميعًا ونجلهم ونعظمهم من غير غلو فيهم، فهم أفضل الخلق عند الله تعالى، ونحن بحاجة إليهم في إصلاح قلوبنا، وتزكية نفوسنا، وهداية عقولنا، يقول ابن تيمية: «الرسالة ضرورية للعباد، لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلَّا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة وينابه من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]. فهذا وصف المؤمن كان ميتًا في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمَان، وجعل له نورًا يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمَات»[1].

* والمؤمنون يؤمنون بالرسل جميعًا، فكل رسول أرسله الله تعالى قد أدى الأمانة، وبلغ الرسالة على الوجه الأكمل، قال تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران]. فمن الرسل من قص الله ﷻ علينا خبره في كتابه، ومنهم من لم يقصص علينا خبره، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٩٣- ٩٤)، (١٩/ ٩٦- ٩٩).

فيجب الإيمَان بجميع الرسل والأنبياء، سواء من جاء ذكرهم في القرآن الكريم والسنة النبوية، أو من لم يأت ذكرهم، «فلا نفرق بينهم بأن نؤمنَ ببعض، ونكفرَ ببعض، بل نؤمنُ بهم ونصدقهم كلهم، فإن من آمن ببعض، وكفر ببعض، فهو كافر بالكل»[١].

* قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء].

* وقال ﷻ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة].

* ومن أمانة الإيمَان بالرسل -عليهم الصلاة والسلام- طاعتهم وعدم مخالفتهم؛ لأن ذلك من طاعة الله، قال ﷻ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء].

ومن الأمانة اعتقاد أنهم معصومون ومنزَّهون عن الكذب والخيانة.

ومن أمانة الإيمَان بالرسل أن نؤمن بالآيات والمعجزات التي أَيَّدَ الله تعالى بها رسله وأنبياءه[٢]، ومن أظهرها القرآن العظيم الذي جعله الله سبحانه معجزة لنبينا محمد ﷺ خاتم الرسل، يقول صاحب «الظلال»: لم يشأ الله تعالى أن ينزل آية قاهرة مادية تلوي الأعناق وتخضعها

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٥٢٣).

(٢) «الرسل والرسالات» للدكتور عمر سليمان الأشقر (ص١٢٣- ١٥٣).

وتضطرها إلى التسليم، ذلك أن الرسالة الأخيرة – التي أُرْسِلَ بها محمد ﷺ- رسالة مفتوحة إلى الأمم كلها، وللأجيال كلها، وليست رسالة مغلقة على أهل زمان أو مكان، فناسب أن تكون معجزتها مفتوحة كذلك للقريب والبعيد، لكل أمة ولكل جيل، والخوارق القاهرة لا تلوي إلَّا أعناق من يشاهدونه، ثم تبقى بعد ذلك قصة تروى، لا واقعًا يشهد..، فأما القرآن فها هو ذا بعد أكثر من – ثلاثة عشر قرنًا- كتاب مفتوح ومنهج مرسوم، يستمد منه أهل هذا الزمان ما يقوم حياتهم- لو هُدُوا إلى اتخاذه إمامهم- ويلبي حاجاتهم كاملة، ويقودهم بعدها إلى عالم أفضل، وأفق أعلى، ومصير أمثل، وسيجد من بَعْدَها كثيرًا ممَا لم نجده نحن، ذلك بأنه يعطي بقدر حاجته، ويبقى رصيده لا ينفد، بل يتجدد»[1].

أمانة الإيمان باليوم الآخر:

وتتجلى أمانة الإيمَان باليوم الآخر في سلوك المسلم في تعامله مع الآخرين، فإذا كان تاجرًا فهو التاجر الصادق الأمين، وإذا كان فقيرًا فهو الرجل الشريف العامل، وإذا كان عاملًا فهو العامل المجتهد الناصح، وإذا كان غنيًا فهو الغني السخي المواسي، وإذا كان قاضيًا فهو القاضي العادل الفهم، وإذا كان واليًا فهو الوالي المخلص الأمين..، وإذا كان خادمًا أو أجيرًا فهو المخلص الأمين».

وما أعظم خطر الأمانة يوم القيامة!، وما أعظم السؤال عنها في هذا المشهد العصيب واليوم العقيم!!

□ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الشهادة تكفّر كل ذنب إلَّا

---

(١) «الظلال» (٥/ ٢٥٨٥).

الأمانة، يؤتى بالرجل يوم القيامة، وإن كان قتل في سبيل الله تعالى، فيقال: أد أمانتك، فيقول: وأنَّى أؤديها وقد ذهبت الدنيا؟ فتمثل له الأمانة في قعر جهنم فيهوي إليها، فيحملها على عاتقه، قال: فتنزل على عاتقه فيهوي على أثرها أبد الأبد، قال زاذان: «فأتيت البراء [١] رضي الله عنه، فحدثته، فقال: صدق أخي ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ [النساء: ٥٨] [٢].

أمانة الإيمان بالقدر خيره وشرِّه:

* إن استشعار العبد لأمانة الإيمَان بالقدر تجعله يمضي في حياته على منهج سواء، لا تُبْطِرُهُ النعمة، ولا تُسْخِطُهُ المُصِيبَةُ، فمَا أوتي من نِعَمٍ وخيراتٍ فمِنَ الله تعالى، لا بذكائه وحسن تدبيره، قال ﷻ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل]، وإذا أصاب العبد الضراء والبلاء علم أن هذا بتقدير الله سبحانه وابتلاء منه، فلا يَجزع ولا يَيأس [٣]، قال ﷻ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد]، بل عليه أن يحتسب ويرضى ويصبر، فيكون ذلك خيرًا له بمَا يناله من الأجر والمثوبة من المولى الكريم فقد قال النبي ﷺ: «**عَجَبًا لأمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خيرٌ، وليس ذَاكَ لأحدٍ إلَّا للمُؤمنِ، إنْ أصابَته سرَّاءُ شكر، فكان**

---

(١) البراء بن عزاب رضي الله عنه.

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٩٨٥).

(٣) انظر: «القضاء والقدر» للدكتور عمر سليمان الأشقر (ص١١١).

خيرًا لهُ. وإنْ أصابتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فكان خيرًا لهُ»[١].

• ومن آثار أمانة الإيمَان بالقدَر، غِنَى النفس والرضا بالرزق، يقول النبي ﷺ: «.. وارْضَ بمَا قسَمَ اللهُ لَكَ تَكُن أَغْنَى النَّاس..»[٢].

• وقال ﷺ: «ليس الغِنَى عن كَثْرةِ العَرَضِ، ولكنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْس»[٣].

* كمَا أن أمانة الإيمَان بالقَدَر تجعل العبد دائمًا على حذر من مكر الله تعالى: []، فقلوب العباد بين إصْبَعَيْنِ من أصابع الرَّحمن يصرِّفُها حيث يشاء، مع مراعاة تنزيه الله ﷻ عن ظلم العباد، قال ﷻ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه][٤].

الأمانة وارتباطها بالعقيدة:

□ قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «أصل الإيمَان عندنا، وفروعه وداخله وخارجه، بعد الشهادة بالتوحيد، وبعد الشهادة للنبي ﷺ بالبلاغ، وبعد أداء الفرائض: صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وترك الخيانة، ووفاء العهد، وصلة الرحم، والنصيحة لجميع المسلمين، فقيل له: يا أبا عَلِي، مِن رأيك تقول أو سمعته؟ قال: لا بل سمعناه وتعلمناه من أصحابنا، ولو لم أجده من أهل الثقة والفضل لم أتكلم به»[٥].

---

(١) رواه مسلم – كتاب الزهد- باب المؤمن أمره كله خير (٢٩٩٩).
(٢) حسن: جزء من حديث رواه الترمذي في كتاب «الزهد»- باب من اتقىٰ المحارم فهو أعبد الناس (٢٣٠٥) وحسّنه الألباني في «صحيح جامع الترمذي».
(٣) رواه البخاري في كتاب «الرقاق» باب الغنىٰ غنىٰ النفس.
(٤) «الأمانة في الإسلام» (ص١٣٤- ١٣٥).
(٥) «السنن الكبرىٰ» للبيهقي- باب في الأمانات (٤/ ٣٢١).

الأمانة في العبادة:

عَرَّفَ ابن تيمية العبادة بأنها «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمَال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة.. وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبِرُّ الوالدين.. وأمثال ذلك من العبادة»[١]، فالإسلام كُلٌّ لا يتجزأ، سواء في العقيدة والعبادة والأخلاق، فهو بمثابة عِقْدٍ مترابطٍ، فالعقيدة لها أثرها في العبادة، ومنهمَا جميعًا ينتج الأثر الأخلاقي للأمانة، يقول المولى ﷻ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران].

□ قال الطبري: «هذا إخبار من الله ﷻ عمن أدى أمانته إلى من ائتمنه عليها اتقاء الله ومراقبته..، وأوفى بعهد الله الذي عاهده في كتابه، فآمن بمحمد ﷺ وصدق به وبمَا جاء به من عند الله تعالى، من أداء الأمانة إلى من ائتمنه عليها، وغير ذلك من أمر الله تعالى ونهيه، (واتقى) اتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به، وسائر معاصيه التي حرمها عليه، فاجتنبَ ذلك مراقبةَ وعيد الله تعالى وخَوْفَ عقابه، فإن الله يحب الذين يتقون فيخافون عقابه ويحذرون عذابه، فيجتنبون ما نهاهم عنه وحَرَّمه عليهم ويطيعونه فيمَا أمرهم به»[٢].

* وحينمَا يغيب معنى الأمانة في النفوس يختلّ الدور الحقيقي للعبادة قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾ [المؤمنون: ٨]، [المعارج: ٣٢]. «راعون لأماناتهم وعهدهم أفرادًا، وراعون لأماناتهم

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٤٩)، و«العبودية» (ص٣٨).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٥٢٥- ٥٢٦).

وعهدهم جماعة»[١].

فهناك أمانة العبادات المتعلقة بالأفراد، وأمانة العبادات المتعلقة بالجماعة.

□ وفوق هذا كله أمانة العبادات القلبية وأهمها الإخلاص لله تعالى، وإرادة وجهه وابتغاء مرضاته وحده، وإفراده بالعبادة والقصد.

الأمانة فيما بين العبد وبين ربه في الاعتقاد والعبادات:

□ قال الشيخ ابن جبرين في محاضرته عن الأمانة[٢]: «هذه الشرائع والعبادات من الأمانة، وكل إنسان مؤتمن فيمَا بينه وبين ربه على هذه الحقوق التي لا يَطَّلِع عليها إلَّا رب العباد. فلا أحد يراقبك سِوَى ربك الذي ائتمنك على هذه العبادات:

- ائتمنك على الطهارة والصلاة.
- ائتمنك على الأذكار، وعلى القراءات التي في الصلاة.
- ائتمنك على الصيام. ائتمنك على أداء الحقوق المالية والزكاة، والكفّارات.
- ائتمنك على ترك الذنوب وتجنُّب المعاصي التي حرّمها عليك.

ووكَّل كلَّ ذلك إلى قلبك ومعتقدك، ولا يطَّلع عليه أحدٌ سوى الله تعالى. فالناس لا يعرفون؛ ولكنك تعرف من نفسك أن ربَّك لا يخفى عليه شيء.

---

(١) «الظلال» (٤/ ٢٤٥٦).

(٢) تم طبعه في كُتيب ضمن منشرات دار القاسم باسم «الأمانة».

- فلو صلَّيت بلا وضوء لم يشعر بك أحدٌ من الناس، لكن الله هو الذي يشعر بك، فالوضوء هو الطهارة، وهو أمانة بينك وبين ربك.
- ولو صَفَفْتَ في الصلاة، ولأخذت تنحني مع الناس، وترفع وأنت لا تُسَبِّح، ولا تقرأ، ولا تذكر، ولا تأتي بشيء من واجبات الصلاة السِّرِّية ولا أركانها، فإن الناس لا يدرون عنك، ولكن الله يدري. فهذه الأذكار التي في الصلاة أمانة بينك وبين ربك.
- ولو أكلت في رمضان سِرًّا، لم يشعر بك أحد؛ لأن الناس لا يراقبونك في كل حال، ولكن الله تعالى هو الذي يطَّلِع عليك. فهذا الصيام أمانة بينك وبين ربك.
- ولو بَخَست الحقوق الواجبة لله من الزكاة ونحوها، ولم تؤدِّ زكاة المَال السِّرِّية، لم يطَّلعْ عليك إلَّا ربك، فالناس ليس لهم إلَّا الظاهر. فهذه أمانة مالية بينك وبين ربك.
- وكذلك لو خَلَوْت بالمعاصي والذنوب، لم يطلع عليك إلَّا ربك.
- ولو أضمرت في نفسك أي شيء من الشك، أوْ مِن الشرك، أو الكفر، أو الوسوسة، لكان ذلك فيمَا بينك وبين الله، ولن يطَّلع الناس عليك إلَّا أن تخبرهم. فالله هو الذي ائتمنك على هذا وبهذا نعرف أن الأمانة عامة لكل العبادات التي فرضها الله على الناس، وإنمَا كانت تلك أمثلة، وهي على سبيل الاختصار وليست على سبيل الحصر»[1].

(١) «الأمانة» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين (ص١٢- ١٤) دار القاسم.

الإخلاص وأعمال القلوب أعظم الأمانات:

□قال فضيلة الشيخ ابن جبرين: «ومن الأمانة أيضًا: الإخلاص في الأعمَال - وهذا من أهم الأمانات التي يجب على العبد مراعاتها- فمثلًا: إذا أراد الإنسان الصلاة أو الحد أو الجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفعل ذلك أمام الناس، فإن الناس يمدحونه على ما ظهر منه ويعتقدون أنه رجل صالح لأجل هذه الأعمَال الصالحة، ولكن إذا كان قلبه مُصِرًّا على شك أو على رياء، أو سمعة، أو طلب مدح الناس له، أو نحو ذلك؟ كان هذا العمل باطِلًا ولا يَطَّلِع على بطلانه سوى ربه. فالإخلاص أمانة يفسده الرياء.

*وأعمَال القلوب أمانة جعل للملائكة سلطانًا عليها يتصلون بها، كمَا في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الأنفطار]. والفعل شاملٌ لفعل القلب والبدن، والأمانة فيه بين العبد وربه، وبينه وبين العباد مطلوبة»[1].

الأمانة في العبادات:

□قال ابن مسعود رضي الله عنه: «.. والأمانة في الصلاة، والأمانة في الصوم، والأمانة في الحديث، وأشدُّ ذلك الوَدائع»[2].

*فالصلاة هي أهم أركان الإسلام، والأمانة فيها: أن تُؤدي كاملة بأركانها وواجباتها دون إخلال بشيء من شروطها، قال تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨﴾ [البقرة]، ويدخل

(١)المصدر السابق (ص١٤، ١٥، ١٨).

(٢)«تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٤٠).

في أداء أمانة الصلاة تفريغ القلب من الشواغل الدنيوية وأداؤها بخشوع، قال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون].

ومن كان أمينًا في صلاته، فإن الله يُبارك له في أعمَاله وحياته، ومن ضيَّعها كان لمَا سواها أضيع.

□ وتتجلَّى الأمانة في الزكاة من جهة إخراج قدرها الشرعي من المَال البالغ نصَابًا وصرفها لمستحقِّها. فالأمين هو الذي يبذل الزكاة لمستحقيها، بعد إحصاءٍ لأمواله وتَحَرٍّ في ذلك [١].

□ والصوم عبادة سِرِّيَة بين العبد وربِّه، يكون المكلَّف به مُؤتَمَنًا على الإمساك عن شهوات نفسه وما حرَّم الله عليه تَعبُّدًا في هذا الوقت المخصوص.

□ وتتحقّق الأمانة في الحج ابتداءً من النيّة الخالصة لله تعالى، والحرص على تحرِّي النفقة الحلال، ومراعاة أداء النُّسك على الوجه الصحيح.

أمانة العبادات المتعلّقة بالجماعة:

أمانة العبادات المتعلقة بالجماعة:

* جعل الإسلام الأمانة مظهرًا لوحدة الجماعة، فقد وصف المولى ﷻ المؤمنين بأنهم يراعون أماناتهم وعهدهم، قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون: ٨] و [المعارج: ٣٢]، ذلك أن

---

(١) انظر: «الأمانة في الإسلام» (ص١٣٨).

الأمانة «صفة دائمة لهم في كل حين، وما تستقيم حياة الجمَاعة إلَّا أن تؤدى فيها الأمانات، وتراعى فيها العهود؛ ويطمئن كل من فيها إلى هذه القاعدة الأساسية للحياة المشتركة الضرورية لتوفير الثقة والأمن والاطمئنان»[١].

• فمن العبادات المتعلقة بالجمَاعة؛ إمامة المصلين، التي تُعَدُّ بمثابة الرأس للجسد، فإنه إذا بطلت صلاة الإمام بطلت صلاة المأموم، لارتباط صحة صلاة المأموم بصحة صلاة الإمام[٢]، لقوله ﷺ: «**الإمام ضامن**[٣]..».

• وقوله ﷺ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ..**»[٤]. لذا كان من مقتضى صحة صلاة الإمام أن يراعي حق الإمامة في الصلاة، من حيث الطهارة والخشوع وجميع شروط الصلاة وأركانها وواجباتها، كمَا ينبغي عليه أن يُطَهِّرَ سلوكَه ظاهرًا وباطنًا، يقول أبو حامد الغزالي: «يُطَهِّر باطنة عن الفسق والكبائر والإصرار على الصغائر، فالمترشح للإمامة ينبغي أن يحترز عن ذلك بجهده، فإنه كالوفد والشفيع للقوم، فينبغي أن يكون خير القوم. وكذا الطهارة ظاهرًا عن الحدث والخبث، فإنه لا يطلع عليه سواه فإن تذكر في أثناء صلاته حدثًا أو خرج منه ريح، فلا ينبغي أن يستحي، بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه..»[٥].

---

(١) «الظلال» (٤/ ٢٤٥٦).

(٢) «الروض المربع» للبهوتي (١/ ٥٠).

(٣) ضامن: الـمُراد ضمان الحفظ والرعاية لأنه يحفظ علىٰ القوم صلاتهم.

(٤) يعني أن المؤذن أمين الناس علىٰ صلاتهم وصيامهم.

(٥) صحيح: رواه الترمذي (٢٠٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر: حديث صحيح ثابت =

• ومن الأمور المتعلقة بأمانة الإمام تجاه المأمومين ألا يخص نفسه بالدعاء، وقد جاء النهي عن ذلك كمَا في حديث ثوبان [١] عن النبي ﷺ: «.. **لا يَؤُمُّ رَجُلٌ قَومًا فَيَخُصَّ نَفسَهُ بِالدُّعَاءِ دُونَهُم، فَإِن فَعَلَ فَقَدْ خَانَهُم..**» [٢].

□ قال ابن القيم: «سمعت ابن تيمية يقول: «هذا الحديث عندي في الدعاء الذي يدعو به الإمام لنفسه وللمأمومين، ويشتركون فيه كدعاء القنوت ونحوه» [٣].

• «والأذان أمانة كمَا أخبر النبي ﷺ: «**الإمامُ ضامنٌ والمؤذنُ مؤتمنٌ**»، وقد ذكر أهل العلم أن من شروط المؤذن أن يكون أمينًا، «أي عدلًا لأنه مؤتمن يرجع إليه في الصلاة وغيرها» [٤]، فالمؤذن أمين بين الناس على

(١/ ٤٠٣- ٤٠٥) حاشية، ورواه أبو داود في كتاب «الصلاة» باب ما يجب على المؤذن من تعاهد الوقت (٥١٧)، وأحمد في «المسند» عن أبي هريرة (٢/ ٣٧٧، ٣٧٨، ٤١٩، ٥١٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١/ ١٥٥) (٥٣٠)، و«الإرواء» (٢١٧)، و«صحيح الجامع» (٢٧٨٧)، وروى الحديث أيضًا ابن حبان، والبيهقي، والشافعي، والطحاوي، وللطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة، وأحمد، والطحاوي، وابن حبان، والبيهقي عن عائشة، وأحمد عن أبي أمامة.

(١) رواه البخاري في كتاب «الأذان»- باب إنما جُعل الإمام ليؤتم به. رقم (٦٨٨).

(٢) «إحياء علوم الدين» (١/ ٢٣٢).

(٣) صحيح، رواه أبو داود في كتاب «الطهارة»، باب أيصلي الرجل وهو حاقن؟، رقم الحديث ٩٠، وأشار إلى ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (ص١٧- ١٨)، وحَسَّنَ سند رواية أبي داود، محققًا «زاد المعاد»: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط (١/ ٢٦٤).

(٤) «الروض المربع» (١/ ٣٩).

صلاتهم وصيامهم وعوراتهم»[(١)].

أمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

* ومن العبادات المتعلقة بالجمَاعة أمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحياة على أساس المعروف وتطهيرها من لوثة المنكر. وقد دَلَّ على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة [(٢)]، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران].

* وقوله ﷻ: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

[التوبة].

• وقول الرسول ﷺ: «**مَن رَأَى مِنكُم مُنكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فإن لم يَستطِع فَبِلسَانِه، فإن لم يَستطِع فَبِقَلبِه، وذلك أَضْعَفُ الإيمَان**»[(٣)].

وقد وصف أبو حامد الغزالي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

(١) «الأمانة في الإسلام» (ص١٤٢).

(٢) نقل الإجماع غير واحد من أهل العلم كأبي المعالي الجويني، والنووي في «شرح صحيح مسلم» (٢/ ٢٢)، والغزالي في «الإحياء» (٣/ ٤- ٥)، وابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٢٥- ١٢٦)، وابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ١٧٩- ١٨٠).

(٣) رواه مسلم في كتاب «الإيمان»- باب كون النهي عن المنكر من الإيمان -رقم الحديث (٤٩).

بالقطب الأعظم في الدين، إذ يقول: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله تعالى له النبيين أجمعين، ولو طُوي بساطُه وأُهمل علمُهُ وعمله، لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعَمَّت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلَّا يوم التناد»[١].

□ وذهب ابن تيمية إلى أن جميع الولايات الإسلامية: «إنمَا مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سواء في ذلك ولاية الحرب الكبرى: مثل نيابة السلطان، والصغرى: مثل ولاية الشرطة، وولاية الحكم أو ولاية المَال وهي ولاية الدواوين المالية، وولاية الحسبة [٢]. لذا وجب على الحاكم أن ينصب في كل بلدة أناسًا صالحين أقوياء أمناء من أهل العلم يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولا تتوقف أمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الولايات، بل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمانة متعلقة بكل فرد من الأمة، ولا سيمَا من كانت له ولاية ورعاية، يقول نبينا محمد ﷺ: «**أَلا كُلُّكُم رَاعٍ، وكُلُّكم مَسؤول عن رَعِيته، فَالأَمِير الذي على الناس رَاعٍ، وهُو مَسؤول عن رَعِيتِهِ، والرجلُ رَاعٍ على أَهل بَيتِه، وهُو مَسؤول عنهُم، والمرأَةُ رَاعِية على بَيتِ بَعلِها وولَدِه، وهي مسؤُولة عنهم، والعبدُ راعٍ على**

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦٦).

مالِ سَيدِه، وهو مسؤُولٌ عنه. أَلا فكُلُّكُم راعٍ، وكُلُّكُم مسؤُولٌ عن رَعِيته»[(١)]، فكل هؤلاء المذكورين في الحديث رعاةً وحكامًا على اختلاف مراتبهم مُؤتمنون بأمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسؤولون أمام الله تعالى.

• كمَا حذر الإسلام من خيانة الأمانة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بأن يأمر المرء غيره وهو يقع في المنكر، كمَا في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «**يُجَاءُ بالرَّجُلِ يومَ القِيَامةِ فَيُلقى في النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ**[(٢)] **في النَّارِ، فيدورُ كما يدورُ الحِمَارُ برَحَاه، فيجتمعُ أَهْلُ النَّارِ عليه، فيقولون: أي فُلانُ ما شَأْنُكَ؟ أَليسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بالمعروفُ وتَنْهانا عن المنكر؟ قال: كُنْتُ آمرُكُم بالمعروفِ ولا آتِيه، وأنهاكُم عن المنكرِ وآتِيه**»[(٣)][(٤)].

□ ولا يمكن الفصل بين العبادة والأمانة إلَّا لمن به خلل، قال عمر رضي الله عنه: «لا يعجبَنَّكم من الرجل طَنْطَنته – يعني صلاته- ولكن من أدَى الأمانة، وكفّ عن أعراض الناس فهو الرَّجُل»[(٥)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أي: أمعاؤه. انظر «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ١١).

(٣) رواه البخاري –كتاب بدء الخلق- باب صفة النار (٣٢٦٧)، ورواه مسلم في كتاب «الزهد والرقائق»- باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهىٰ عن المنكر ويفعله (٢٩٨٩).

(٤) «الأمانة في الإسلام» (ص١٤٢- ١٤٣).

(٥) «السنن الكبرىٰ» للبيهقي (٦/ ٤٧٢)، وبنحوه في «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (ص١٩٣).

والعقل أمانة فانظر كيف تعلو همتك في توظيفه للآخرة ونفع المسلمين في الدنيا:

«اتصاف المرء بالعقل وتسخيره في طاعة الله ﷻ أمانة كبرى يثاب عليها، لذا كان من رعاية الإسلام لأمانة العقل – أن جعله إحدى الضروريات الخمس[(١)] – ومنع أي فعل يعطل مهمته، وحَرَّم حفظًا له كل ما يضر بهمته ولو لفترة محدودة، فقد حرم كل مُسْكِرٍ ومُخدرٍ ممَا يُخامر العقل ويُغطيه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة]، ومن أجل صيانة العقل شرعت عقوبة جلد شارب الخمر لردع متناوله، وزجر كل ما يسعى إلى الإضرار بأمانة العقل ولو لفترة محدودة.

أما تعطيل العقل بالكلية بأي سبب يؤدي إلى ذهابه، فقد عاقب الشرع فاعله بالدية كاملة رعاية لَهُ، قال ابن قدامة: «في ذهاب العقل الدية، لا نعلم في هذا خلافًا، – وكتب النبي ﷺ لعمرو بن حزم رضي الله عنه: «**وفي العقل الدية**»[(٢)]، وتظهر عِلَّة هذه العقوبة؛ بأنه أكبر المعاني قدرًا، وأعظم الحواس نفعًا، وبه يميز بين النافع والضار، والحق والباطل[(٣)]»[(٤)].

---

(١) انظر: «المستصفى» للغزالي (١/ ٢٨٦- ٢٨٧)، و«الموافقات» للشاطبي (١/ ١٥)، و(٢/ ٤).

(٢) «المغني» (١٢/ ١٥١- ١٥٢).

(٣) المرجع السابق.

(٤) «الأمانة في الإسلام» (ص٨١- ٨٢).

□ قال ابن القيم رحمه الله: «إن امتناع السموات والأرض والجبال من حمل الأمانة لأجل خُلُوِّها من العقل الذي يكون به الفهم والإفهام، وحُمِّلُ الإنسان إياها لمكان العقل فيه»[(١)].

□ ومن الأمثلة العظيمة لأمانة العقل أنه لمَّا عزم أبو بكر الصديق رضي الله عنه على جمع القرآن، قال لزيد بن ثابت رضي الله عنهما: «إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه»[(٢)]، فكان أول ما حمل أبا بكر رضي الله عنه على اختيار زَيْدٍ ما اتصف به من أمانة العقل.

قال المهلب معقبًا على قول أبي بكر رضي الله عنه: «إن العقل أصل الخِلال المحمودة؛ لأنه لم يصف زيدًا بأكثر من العقل وجعله سببًا لائتمَانه ورفع التهمة عنه»[(٣)].

□ ومن حفظ أمانة العقل أن يزكِّية الإنسان ويوظِّفه ويُعلِي همته في ذلك بأن يوجهه إلى آيات الله الكونية، وفي النفس البشرية، وارتياد أوسع الآفاق لخدمة الناس في الحياة الدنيا وبناء الحضارة الإسلامية، وفوق هذا معرفة أسرار الشريعة، والفهم في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

□ ومن أمانة العقل أن تستخدمه فيمَا يصلح له، وأن لا يُتعدَّى به طوره، فمثل العقل كالميزان الحساس يُوزن به أدق شيء من الجواهر النفيسة، ولا تُوزن به الصخور والجبال، والعقل كالدّابة يُوصِّلك إلى

---

(١) «الروح» لابن القيم (ص٢٢٣).
(٢) البخاري -كتاب فضائل القرآن- باب جمع القرآن (٤٩٨٦).
(٣) «فتح الباري» (١٣/ ١٨٣).

باب المَلِك، ثم تدخل عليه بعد ذلك بمطلق التسليم.

□ قال الغزالي: «العقل ليس مستقلًا بالإحاطة بجميع المطالب، ولا كاشفًا للغطاء عن جميع المعضلات»[١].

□ وأصل ذلك كمَا يقول ابن تيمية: «إنه لا يمكن العاقل أن يدفع عن نفسه أنه يميز بعقله بين الحق والباطل، والصدق والكذب، وبين النافع والضار، والمصلحة والمفسدة، ولا يمكن المؤمن أن يدفع عن إيمَانه أن الشريعة جاءت بمَا هو الحق والصدق في المعتقدات، وجاءت بمَا هو النافع والمصلحة في الأعمَال التي تدخل فيها الاعتقادات»[٢].

□ والدكتور محمد عبد الله دراز له رَدٌّ على أولئك الذين لا يتبعون إلَّا العقل ويعطلون الشرع، إذ يقول: «لا تحسبن أن نور الشريعة فيمَا لَمْ يهتد إليه العقل بمفرده قد أصبح مستغنيًا عن نور الفطرة جملة؛ كلا، فإنه لا يزال في أشد الحاجة إلى رفده وعضده»[٣]، ولهذا لا يمكن الاهتداء في ظل العقل وحده، بل إن العقل في حاجة ماسة إلى الشرع في الاستنارة بهداه، كمَا يقول أبو حامد الغزالي: «الأخلاق والأعمَال متفاوتة متفاضلة ومتمايزة بالخير والشر، والمقادير فيها عملٌ وجزاء ممَا لا يهتدي إليه عقل كل عاقل، إلَّا أن يكون مؤيدًا من عند الله ﷻ بالوحي»[٤]، ويؤيد هذا ما ذكره الماوردي: «إن العقل لا يعلم فرض شيء ولا إباحته، ولا

---

(١) «المنقذ من الضلال» لأبي حامد الغزالي – تحقيق محمود بيو (ص٥٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٣٤٦- ٣٤٧).

(٣) «دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية» (ص١١٧).

(٤) «معارج القدس في مدارج معرفة النفس» (ص١٤٧).

تحليل شيء ولا تحريمه»[(١)].

□ ويرحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية القائل: «الشرع يخبر بمُحارات العقول لا بمُحالات العقول».

والجوارح أمانة:

عينُك، وسمعك، وبصرك، ويدك، ورجلك، وفرجك، ولسانك، وأنفك.

* قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].

فستسأل عن هذه الأمانات هل أديت حقها أم ضيعت هذا الحق، هل أديت حق هذه الأمانة؟

لكل جارحة عبوديَّة، فهل بلغت أقصى درجات الكمَال، ونلت شرف علو الهمة في تحصيلها أم لا.

ومن نظر إلى حرام، أو سَمِع حَرَامًا، أو تكلَّم بحرام، أو ذاق حرامًا، أو أكل حرامًا، أو شمَّ حرامًا، فقد أخل بالأمانة، يقول أبو حامد الغزالي: «اعلم أنك تعصي الله بجوارحك، وإنمَا هي نعمة من الله عليك، وأمانة لديك، فاستعانتك بنعمة الله تعالى على معصيته غاية الكفران، وخيانتك في أمانةٍ أودعكها الله تعالى غاية الطغيان، فأعضاؤك رعاؤك، فانظر كيف ترعاها «**ألا فكُلُّكُم راع، وكُلُّكُم مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ**[(٢)]»[(٣)].

---

(١) «الأحكام السلطانية والولايات الدينية» للماوردي (ص١٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «بداية الهدىٰ» (ص٤٧).

أمانة العلم:

والعلم أعظم أمانة حملها الإنسان، ولأن يطلب العالم الدنيا بطبل ومزمار خير له من أن يدنس وجه العلم بطلب فتات موائد أبناء الدنيا من السلاطين وأصحاب الجاه، وتدبيج فتاوى الزور، وتأويل النصوص وَلَيِّ عُنقها حسب أمزجة أبناء الدنيا..

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولـوْ عَظَّمـوه في النفـوس لَعُظِّـمَا

أأشـقى بـه غَرْسًـا وأجنيـة ذِلَّـةً ... إذًا فاتِّباعُ الجَهْلِ قـد كـان أحزمَـا

إن أمانة العلم تحمل العلمَاء على أن يكونوا أدلاء على نوره يُبَصِّرون أبناء الأمة بنور الكتاب وجَمَال السُّنَّة، يَصفون الطريق للمدلجين، ويهدون إليه المتحيّرين، يصيح لسان حالهم بالبَعيدين: يا له من دين لو أنَّ له رجالًا.

✍ وأمانة العلم تقتضي أن يُرَبِّي طلبة العلم على «نصف العلم» وهي قول: «لا أدري».

• عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى لا يقبضُ العِلْم انتزاعًا ينتزعُهُ من العباد، ولكن يقبض العلمَ بقبضِ العلمَاءِ، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا اتخذ الناس رؤساء جُهَّالًا، فسُئِلُوا، فأفْتَوْا بغير علم، فضلُّوا وأضَلُّوا»**(١).

• وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«غيرُ الدَّجَالِ أَخْوَفُ على أمتي من الدَّجَّال؛ الأئمة المُضِلُّون»**(٢).

---

(١) رواه أحمد، والبخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، والترمذي، وابن ماجه.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٨٩)، =

• وتَعَلُّمُ العلم لغير الله خيانةٌ لأمانة العلم، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن تَعَلَّم العِلْم ليباهي به العلمَاء، أو يمَاري به السفهاءَ، أو ليصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم**»(١).

• وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تَعلَّم علمًا مما يُبتغَى به وجه الله، لا يتعلَّمُه إلَّا ليُصيب به عِوَضًا من الدنيا، لم يَجِد عَرْف الجنة يوم القيامة**»(٢).

والمال أمانة: يأخذه من حِلِّهِ ويُنفِقُهُ في حِلِّه، ويُعطِي حقَّ الله فيه من زكاة وصَدَقة.

• عن أبي كبشة الأنمَاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثٌ أُقْسِمُ عليهنَّ: ما نقَصَ مالُ عَبْدٍ من صدقة، ولا ظُلِم عبدٌ مَظلمَةً صَبَر عليها إلَّا زاده الله ﷻ عِزًّا، ولا فَتَح عَبْدٌ بابَ مَسْألةٍ إلَّا فتح اللهُ عليه بابَ فَقْر، وأُحدِّثُكم حديثًا فاحفظوه، إنمَا الدنيا لأربعة نَفَرٍ: عبدٍ رزقه الله مالًا وعِلْمًا فهو يتَقي فيه ربَّه، ويصل فيه رَحِمَهُ، ويعمل لله فيه حقًّا، فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رزقه الله تعالى عِلْمًا ولم يرزقه مالًا، فهو صادِقُ النِّية، يقولُ: لو أنَّ لي مالًا، لعَمِلْتُ بِعَمَل فلانٍ فهو بنيَّته، فأجرهمَا سواء، وعبدٍ رزقه الله مالًا، ولم يرزقه علْمًـا، يخبِطُ في مالِهِ بغير علم، لا يتَّقي فيه ربَّه، ولا يَصل فيه رَحمه، ولا يعمل لله فيه حقًّا، فهذا بأخبث المنازل، وعبدٍ لم يرزقه**

و«صحيح الجامع» (٤١٦٥).

(١) صحيح: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، وصحّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٥٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٥٩).

الله مالًا ولا علمًا فهو يقول: لو أنَّ لي مالًا لعملتُ فيه بعملِ فُلانٍ، فهو بنيَّتِهِ، فوزرهما سواء»[١].

• المال أمانة وأنت مُستخلَفٌ فيه فانفع به المسلمون في قرضهم أو التَّصدُّق عليهم قال رسول الله ﷺ: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**»[٢].

أداء الأمانات إلى أهلها:

«إن ممَا يورث المحبة والألفة والتعاون، ويدعو إلى ازدهار النشاط الاقتصادي القيام بالأمانات الواجبة، وقد أثنى الله تعالى على رعاية المؤمنين للأمانة في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾ [المؤمنون: ٨]، [المعارج: ٣٢] وأمر بأداء الأمانة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، جاء في تفسير الآية، أن الأمانة داخلة في كل شيء، من ذلك: الكيل والوزن والودائع.

□ قال القرطبي: «الآية شاملة بنظمها لكل أمانة، وهي أعداد كثيرة..، وأمهاتها في الأحكام الوديعة، واللُّقَطَة، والرَّهن، والعارية»[٣]، وجاء في سبب نزولها، أن النبي ﷺ قبضَ مفتاح الكعبة يوم الفتح من ابني طلحة، فدخل الكعبة، فخرج وهو يقرأ هذه الآية، فدعا عثمَان بن طلحة فقال: «خُذوها يا بني طلحة بأمانة الله، لا يَنزعها منكُم إلَّا

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٤)، «صحيح الجامع» (٣٠٢٤).

(٢) رواه مسلم في كتاب «السلام» باب استحباب الرقية.

(٣) «تفسير القرطبي» (٥/ ٢٤٦).

ظَالِم»[١]، وهذا يبين أن «الوديعة أمانة نزلت الآية ابتداء للأمر بأدائها إلى أهلها، وهذا ما عليه المفسرون»، مع ملاحظة أن الأمر بالأداء في الآية الكريمة يشمل كل أنواع الأمانات التي يجب أداؤها إلى أربابها الأبرار منهم والفجار»[٢].

□ ومن مواقف نبينا محمد ﷺ العظيمة في تأديته الأمانات لمَّا كان بمكة، فقد كان الكفار يأتمنونه على أموالهم ويودعون عنده ودائعهم، بالرغم من بقائهم على الكفر، ولمَّا أُمِرَ بالهجرة أوصى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأن يؤدي عنه الأمانات والودائع التي كانت عنده للناس [٣]، وهو بهذا يعطي أمته درسًا في أداء الأمانات إلى أهلها، ومن هديه ﷺ المبادرة إلى أداء الأمانات وتوفية الأموال التي ترد إليه إلى أصحابها، فإنه ذات يوم صلى العصر فلمَّا سَلَّمَ قَامَ سَرِيعًا فدَخَلَ على بعض نِسائِهِ، ثم خَرَجَ وَرَأَى مَا في وُجُوهِ الصحابة من تعجبهم لسرعته، فقال: «**ذَكَرْتُ – وأنا في الصَّلاة- تِبْرًا** [٤] **عندنا فكَرِهْتُ أنْ يُمْسِيَ – أوْ يَبيت – فأمرتُ بقِسْمتِهِ**»[٥].

---

(١) «أسباب النزول» (ص١٣٤)، وانظر «تفسير الطبري» (٨/ ٤٩١).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٤٩٣)، و«التفسير الكبير» للرازي (١٠/ ١١٢) و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٥/ ٢٤٦).

(٣) انظر: «سيرة النبي ﷺ» (٢/ ٩٨)، و«السنن الكبرىٰ» (٦/ ٤٧٢).

(٤) التِّبْر: هو الذهب والفضة قبل أن يُضرَبا دراهم ودنانير. انظر «النهاية في غريب الحديث» (١/ ١٧٩).

(٥) رواه البخاري في كتاب «العمل في الصلاة»- باب تفكُّر الرجل الشيء في الصلاة (١٢٢١).

هذا من ناحية الأمانات، بل ذهب ابن تيمية إلى وجوب أداء الغصب والسرقة ونحو ذلك من المظالم بقوله: «إذا كان الله تعالى قد أوجب أداء الأمانات التي قُبضت بحق، فمن باب أولى وجوب أداء الغصب والسرقة والخيانة ونحو ذلك من المظالم»[١].

ولا شك أن أداء الأمانات إلى أهلها من الأمور الأساسية التي تقوم عليها نهضة المجتمع لا سيمَا في الجوانب الاقتصادية، وكمَا قيل: أداء الأمانة مفتاح الرزق»[٢].

□ **وأداء الأمانات إلى أهلها يتضمّن:**

أوَّلًا: أمانة تأدية الدَّيْن.

ثانيًا: أمانة توفية الكَيْل والميزان.

أولاً: أمانة تأْدِية الدَّيْن:

* أكدَّ الله ﷻ على أمانة تأْدِية الدَّيْن، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]. والمولى ﷻ أطلق اسم الأمانة على الدَّين الذي في الذمة، وفي ذلك تعظيم لأمانة الدَّينِ وحث على تأديته[٣]، ويؤيد هذا ما ذكره ابن المنير تعليقًا على قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾، قال: «أدخَلَ الدَّيْن في الأمانة لثبوت الأمر بأدائه»[٤].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٦٦).

(٢) «الأمانة في الإسلام» (ص١٨٤- ١٨٥).

(٣) «تفسير التحرير والتنوير» (٣/ ١٢٢).

(٤) «فتح الباري» (٥/ ٥٥).

• وينبغي للمدِين أن يبادر إلى إبراء ذمّته، والوفاء بالدَّيْن في مَوْعده، ما دام قادِرًا على السَّدَاد، ولا تجوز المماطلة، فقد قال رسول الله ﷺ: «**مَطْلُ الغَنِي ظلم**»(١).

• وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ خيارَكم أحسنكم قضاء**»(٢).

• وعدم مراعاة الأمانة في أداء الديون تكون سببًا في هلاك النفوس والأموال، فعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: «**لا تُخِيفُوا أنفسكم**» -أوْ قال الأنفس- فقيل له: يا رسول الله، وما نُخِيفُ أنفسنا؟ قال: «**الدَّيْن**»(٣).

• وقال رسول الله ﷺ: «**نَفْس المؤمن مُعَلَّقةٌ بِدَيْنه حتى يُقضَى عنه**»(٤).

---

(١) رواه البخاري في كتاب «الحوالة»- باب الحوالة (٢٢٨٧)، ومسلم عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد، والبخاري (٢٣٠٥)، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٣) حسن: رواه البيهقي في «سننه»، وأحمد (٤/١٤٦، ١٥٤)، والبخاري في «الأدب»، وأبو يعلىٰ، والطبراني في «الكبير»، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٥٩)، و«الصحيحة» (٢٤٢٠).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذي في كتاب «الجنائز»، باب ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: نَفْس المؤمن مُعَلَّقة بِدَيْنه- وقال: حديث حسن (١٠٧٩)، ورواه ابن ماجه، والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٢٩١٥)، و«صحيح الجامع» (٦٧٧٩)، و«صحيح سنن الترمذي». وقد قُبِضت روح شيخ الديار المصرية في الحديث في الحبيب وسيدنا الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف وهو يرد علىٰ سؤال حول هذا الحديث ويقوم بتخريجه علىٰ شريط مُسجَّل رحمه الله رحمة واسعة.

• وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**يُغفَر للشهيد كُلُّ ذنبٍ إلَّا الدَّيْن**»(١).

□ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إيَّاكُم والدَّيْن، فإن أوَّله هَمٌّ، وآخره حرب»(٢).

• وقال رسول الله ﷺ: «**من أخذ أموال الناس يُريدُ أَداءَها، أَدَّى الله عنه، ومن أَخَذَها يريدُ إتلافها أَتْلَفَه الله**»(٣).

تفريج كُرْبة من وفّى وأدّى دينه كأحسن ما يكون الأداء:

في حديث الثلاثة أصحاب الغار وكيف نجّاهم الله..

«.. **وقال الثالث: اللهم اسْتَأْجَرْتُ أُجراءَ وأعْطَيتُهم أَجْرَهم غيرَ رَجُل واحد، تركَ الذي له وذهب، فثمَّرتُ أجره، حتى كثرتَ منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله! أدِّ إليَّ أجرْي، فقلتُ: كُلُّ ما تَرَى مِن أجرك: من الإبل، والبقر، والغنم، والرقيق. فقال: يا عبد الله! لا تستهزئ بي! فقلتُ: لا أستهزئ بك، فأخذَه كُلَّهُ فاستاقهُ، فلم يترُكْ منه شيئًا، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك، فافرُج عنا ما نحنُ فيه، فانفرجت الصخرةُ؛ فخرجوا يمشُون**»(٤).

---

(١) رواه أحمد، ومسلم في كتاب «الإمارة» باب من قُتِل في سبيل الله كفّرت خطاياه إلا الدَّيْن.

(٢) «موطأ مالك» (٤/ ٧٥)، و«المبسوط» (٢٠/ ٨٨).

(٣) رواه أحمد، والبخاري (٢٣٨٧) تعليقًا في الزكاة -باب لا صدقة إلا عن ظهر غنىً، وفي الاستقراض، ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣).

أمانة جابر بن عبد الله في سداد دين أبيه :

• عن جابر بن عبد الله الأنصاريِّ رضي الله عنهما: «أنَّ أباهُ استُشْهِدَ يوم أحدٍ وترك سِتَّ بناتٍ وترك عليه دينًا. فلمَّا حضره جذاذُ النَّخْلِ [١] أتيت رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله، قد علمْت أنَّ والدي استشهد يوم أحدٍ وترك عليهِ دينًا كثيرًا وإنِّي أحبُّ أنْ يراك الغُرماءُ. قال: «**اذهبْ فيبدرْ كُلَّ تمرٍ على ناحيةٍ. ففعلتُ ثُمَّ دعوْتُهُ فلمَّا نظرُوا إليه أُغْرُوا** [٢] **بي تلك السَّاعةَ**». فلمَّا رأى ما يصنعُونَ طاف حول أعظمها بَيْدَرًا [٣] ثلاث مرَّاتٍ. ثمَّ جلس عليه ثمَّ قال: «**ادْعُ أصحابكَ**» فمَا زال يكيلُ لهم حتَّى أدَّى الله أمانةَ والدي. وأنا والله راضٍ أنْ يؤدِّي الله أمانةَ والدي، ولا أرْجِعُ إلى أخواتي تمْرَةً. فسلمَ – والله- البَيادِرُ كُلُّها حتَّى إنِّي أنْظُرُ إلى البيْدَرِ الذي عليه رسولُ الله ﷺ كأنَّهُ لم ينقُصْ تمْرَةً واحدةً»[٤].

علو همة الزبير رضي الله عنهما في سداد دَيْنه، وعُلو كعْب عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في الأمانة وسداد الدَّين :

• عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: لمَّا وقف الزُّبير يوم الجمل دعاني فقُمْتُ إلى جنْبه، فقال: يا بُنيَّ لا يُقْتلُ اليوم إلَّا ظالمٌ أو مظلومٌ، وإنِّي لا

---

(١) جِذاذ: نصُّ «فتح الباري» (٥/ ٢٧٨١) من الجذِّ وهو القطع، ورواه العيني في «عمدة القاري» كتاب الوصايا مجلد ٧ (١٤/ ٧٧) «جداد» بفتح الجيم وكسرها قال: وهو صرام النخل وهو قطع ثمرتها، وفي «لسان العرب» أن الجداد -بفتح الجيم وكسرها- أوان الصرام.

(٢) أعزوا بي: هيجُوا بي، ولجُّوا في مطالبتي.

(٣) بيْدر الحِنطة ونحوها: كومها. والبيدر: الجرن من القمح ونحو.

(٤) رواه البخاري «الفتح» (٥/ ٢٧٨١).

أراني إلَّا سأُقتلُ اليوم مظلومًا، وإنَّ من أكبرِ همِّي لديْني، أفترَى يُبقي دينُنا من مالنا شيئًا؟ فقال: يا بُنَيَّ بِعْ مالنا، فاقْضِ ديْني. وأوْصَى بالثُّلُثِ، وثلثهِ لبنيه – يعني: بني عبد الله بن الزُّبير، يقولُ: ثلثُ الثُّلُثِ- فإنْ فضل من مالنا فضلٌ بعد قضاءِ الدَّيْن فثلثه لولدكَ. قال هشامٌ: وكان بعض ولد عبد الله قد وازى بعض بني الزُّبيْر – خُبَيبٌ وعَبَّادٌ- وله يومئذٍ تسعةُ بنينَ وتسْعُ بناتٍ. قال عبد الله: فجعل يوصيني بدينه ويقول: يا بُنَيَّ إنْ عجزْت عن شيءٍ منه فاستعنْ عليه مولاي. قال: فوالله ما دريْتُ ما أراد حتَّى قلتُ: يا أبتِ من مولاكَ؟ قال: الله. قال: فوالله ما وقعت في كربةٍ من دَيْنه إلَّا قلتُ: يا موْلَى الزُّبيرِ اقْضِ عنه دينَهُ، فيقْضِهِ. فقُتِلَ الزُّبيرُ رضي الله عنه ولم يدعْ دينارًا ولا درْهَمًا، إلَّا أرضينَ منْها الغابةُ، وإحْدَى عشرة دارًا بالمدينَةِ، وداريْن بالبصْرة، ودارًا بالكوفةِ، ودارًا بمصر. قال: وإنمَا كان دَيْنُهُ الذي عليه أن الرَّجُلَ كان يأتيه بالمَال فيستودعه إيَّاهُ، فيقول الزُّبيرُ: لا، ولكنَّه سلفٌ، فإنِّي أخْشَى عليه الضَّيْعَة. وما ولي إمارةً قطُّ ولا جبايةَ خَراجٍ ولا شيئًا إلَّا أنْ يكون في غزْوَةٍ مع النَّبيِّ ﷺ أوْ مع أبي بكرٍ وعمر وعثمَانَ رضي الله عنهم قال عبد الله ابنُ الزُّبيرِ فحسبْتُ ما عليه من الدَّين فوجدْتُهُ ألْفَيْ ألفٍ ومئتيْ ألفٍ، قال: فلقيَ حكيمُ بن حزامٍ عبد الله ابن الزُّبيرِ. فقال: يا ابن أخي: كمْ على أخي من الدَّيْنِ؟ فكَتَمَهُ فقال: مئةُ ألفٍ. فقال حكيمٌ: والله ما أرى أموالكُمْ تَسَعُ لهذه. فقال له عبد الله: أرأيْتَكَ إنْ كانت ألفَيْ ألفٍ ومئتيْ ألفٍ؟ قال: ما أراكُمْ تُطِيقُونَ هذا، فإنْ عجزتم عن شيءٍ منه فاستعينُوا بي. قال: وكان الزُّبيرُ اشترى الغابةَ بسبعين ومئةِ ألفٍ. فباعها عبدُ الله بألفِ ألفٍ وستِّمئةِ ألفٍ. ثم قام فقال: من كان له على الزُّبير حقٌّ فليوافنا بالغابة، فأتاهُ عبد الله بن جعفرٍ – وكان له على الزبير أربعُمئة ألف –

فقال لعبد الله: إنْ شئتم تركتها لكم. قال عبد الله: لا. قال: فإنْ شئتُمْ جعلتموها فيمَا تؤخِّرون إنْ أخَّرتم، فقال عبد الله: لا. قال: قال: فاقطعوا لي قطعةً. قال عبد الله: لك منْ هاهنا إلى هاهنا. قال: فباعَ منها فقضى دينهُ فأوْفاهُ، وبقي منها أربعةُ أسهم ونصْفٌ، فقدم على مُعاويةَ – وعنده عمرو ابن عثمَان والمنذر بن الزُّبير، وابن زمَعْةَ، فقال له معاويةُ: كم قُوِّمتِ الغابةُ؟ قال: كُلُّ سهمٍ مئةُ٣ ألفٍ، قال: كمْ بقيَ؟ قال: أربعةُ أسهم ونصفٌ. فقال المنذر بن الزبير: قد أخذْتُ سهمًا بمئةِ ألفٍ. وقال عمرو ابن عثمَان: قد أخذتُ سهمًا بمئة ألفٍ. وقال ابنُ زمعة: قد أخذْتُ سهمًا بمئة ألفٍ. فقال معاوية: كم بقيَ؟ فقال: سهمٌ ونصفٌ. قال: أخذته بخمسين ومئةِ ألفٍ. قال: وباع عبدُ الله بن جعفرٍ نصيبهُ من معاويةَ بستِّمِئة ألفٍ. فلمَّا فرغَ ابنُ الزُّبير من قضاءِ دينه قال بنو الزُّبير: اقسمْ بيننا ميراثنا. قال: لا والله لا أقسمُ بينكُمْ حتَّى أُنادي بالموسم أربعَ سنين: ألا منْ كان له على الزُّبير دينٌ فليأتنا فلنقْضِهِ. قال: فجعل كلَّ سنةٍ يُنَادي بالموسم فلمَّا مضى أربعُ سنينَ قسم بينهم. قال: وكان للزُّبيرِ أرْبع نسوةٍ، ورفع الثلث فأصابَ كُلَّ امرأةٍ ألفُ ألفٍ ومائتا ألفٍ» (١).

ما أعلى همة هذا الصالح من بني إسرائيل في سداد دَيْنه وأداء أمانته:

• عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ رجلًا منْ بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيلَ أنْ يُسلِّفَهُ ألف دينارٍ، فقال له الرجل - أي الدائن أي الذي سيمنحه المَال -: ائْتني بشهداء أشهدهم، قال: كفى بالله شهيدًا، قال: ائتني بكفيلٍ، قال: كفى بالله كفيلًا، قال: صدقْتَ،**

(١) رواه البخاري «الفتح» (٦/ ٣١٢٩).

فدفعها إليه إلى أجلٍ مسمًّى، فخرج في البحر فقضى حاجتَهُ، ثمَّ التمس مركبًا يقدمُ عليه للأجلِ الذي كان أجَّله فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبةً فنقرها وأدخل فيها ألفَ دينارٍ وصحيفةً معها إلى صاحبها، ثم زجَّجَ موضعها ثمَّ أتى بها البحر ثمَّ قال: اللهمَّ إنَّك قدْ علمْتَ أنِّي استلفْتُ من فلانٍ ألفَ دينارٍ فسألني كفيلًا فقلتُ: كفى بالله كفيلًا فرضِيَ بكَ، وسألني شهيدًا فقلتُ: كفَى بالله شهيدًا فرضِيَ بك، وإنِّي قدْ جهِدْتُ أنْ أجِدَ مرْكبًا أبْعثُ إليه بالذي له فلم أجدْ مركبًا وإنِّي استودعتكها فرمى بها في البحر حتى ولَجَتْ فيه ثمَّ انصرف ينظر وهو في ذلك يطلب مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرَّجُل الذي كان أسْلَفَهُ ينظر لعلَّ مركبًا يجيءُ بمَاله، فإذا بالخشبة التي فيها المَال فأخذها لأهله حطبًا، فلمَّا كسرها وجد المَال، والصَّحيفة، ثم قدم الرَّجُل الذي كان تسلَّفَ منه فأتاه بألفِ دينارٍ وقال: والله ما زلتُ جاهدًا في طلب مركبٍ لآتيكَ بمَالك فمَا وجدْتُ مركبًا قبل الذي أتيْتُ فيه، قال: هل كنت بعثْتَ إليَّ بشيءٍ؟ قال: ألمْ أخبركَ أنِّي لم أجدْ مركبًا قبل هذا الذي جئْتُ فيه، قال: فإن الله قدْ أدَّى عنك الذي بعثْتَ به في الخشبة فانصرفْ بألْفِكَ راشِدًا»[1].

أمانة رد اللقطة والأموال الضائعة إلى أصحابها:

أمانة ابن عقيل الحنبلي رحمه الله:

□ قال أبو المظفّر سِبط ابن الجوزي: «حكى ابن عقيل عن نفسه قال: حججت. التقطت عقْدَ لؤلؤ في خَيْطٍ أحمرَ، فإذا شيخ أعمى ينشده، ويبذل لملتقطه مئة دينار، فرددته عليه، فقال: خُذ الدنانير، فامتنعتُ،

(١) رواه أحمد، والبخاري في «الكفالة» (٢٢٩١).

وخرجتُ إلى الشام، وزُرْتُ القدسَ، وقَصدْت بغداد، فأويْت بحلب إلى مسجد وأنا بردان جائع، فقدَّموني، فصلَّيْتُ بهم، فأطعموني، وكان أوَّل رمضان، فقالوا: إمامُنا تُوفِّي فصَلِّ بنا هذا الشهر، ففعلتُ، فقالوا: لإمامنا بنت، فزُوِّجتُ بها، فأقمتُ معها سنة، وأولدتها ولدًا ذكرًا، فمرِضت في نفاسها، فتأمَّلتُها يومًا فإذا في عُنُقِها العقدُ بعينه بخيطهِ الأحمر، فقلتُ لها: لهذا قصة. وحكيتُ لها، فبكَتْ، وقالتْ: أنتَ هو، والله لقد كان أبي يبكي، ويقول: اللهم ارزق بنتي مثل الذي ردَّ العُقْدَ عليّ، وقد استجاب الله منه، ثم ماتت، فأخذت العُقد والميراث، وعُدْت إلى بغداد»[1].

أمانة تَوْفية الكَيْل والميزان، والأمانة في البيع والشراء:

* قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

* وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء].

* وقرن الله عَزَّوَجَلَّ بين إنزال الكتاب والميزان إيحاءً إلى أن أمانة الكيل والميزان جاءت بها كل الشرائع، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

* وذكر الله تعالى في كتابه الكريم عن أهل مَدْين أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان، ويبخسون الناس أشياءهم، أي يُنقِصُونهم قيمة أشيائهم في المعاملات، لذا كانت دعوة نبيه شعيب – عليه الصلاة والسلام– قومه إلى توحيد المولى سبحانه ورعاية أمانة المكيال والميزان في المعاملات ظاهرة، قال تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ

---

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٤٤٥، ٤٥١)، وانظر: «نزهة الفضلاء» (٣/ ١٣٧٢- ١٣٧٣).

﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [هود].

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «بخس المكيال والميزان، من الأعمَال التي أهلك الله بها قوم شعيب – عليه الصلاة والسلام –، وقص علينا قصتهم في غير موضع من القرآن؛ لنعتبر بذلك. والإصرار على ذلك من أعظم الكبائر، وصاحبه مستوجبٌ تغليظَ العقوبةِ، وينبغي أن يؤخذ منه ما بخسه من أموال المسلمين على طول الزمان، ويُصرف في مصالح المسلمين، إذا لم يمكن إعادته إلى أصحابه»[(١)].

□ وجاء عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قوله: «لَمَّا قدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ كانوا مِنْ أخْبثِ الناس كيلًا. فأنزل الله سبحانه: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ﴾ [المطففين]، فأحْسَنُوا الكيل بعد ذلك»[(٢)].

ويمكن القول: إن الأمانة في الكيل والميزان من جملة الأمانات التي أمر الله تعالى بأدائها ومراعاتها [(٣)]، قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]، وهي من الأخلاق العظيمة التي تبعث على «حفظ حقوق الآخرين، وتؤكد ما بينهم من مودةٍ ومحبةٍ، وتُزيل

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٩/ ٤٧٤).

(٢) حسن: رواه ابن ماجه في كتاب التجارات- باب التوقي في الليل الوزن رقم (٢٢٢٣)، والحاكم وصححه (٢/ ٣٣٢- ٣٣٣) رقم (٢٢٨٧)، وحسّنه الألباني في «سنن ابن ماجه» طبعة بيت الأفكار الدولية (ص٢٤٠).

(٣) «التفسير الكبير» (١٠/ ١١١).

طمع النفوس إلى ما في أيدي الناس بدون جهد، وحبذا للمرء أن يُرجح إذا أعطى، ويُنقص إذا أخذ [١]، قال ﷺ: «**إذا وزنتُمْ فأَرْجِحوا**»[٢].

وكمَا يعتني الإسلام بالأمانة في توفية الكيل والميزان يحذر من التطفيف؛ لأن التطفيف فيه دلالة على أن فاعله قد تأصلت فيه مساوئ الأخلاق من غش وخداع وخيانة، والتطفيف في الكيل والميزان أمر محرم وكبيرة من الكبائر، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففين]، وهو منذر بعقوبة الجبار في الدنيا التي تحصل في جلب الشدة وغلاء الأسعار والضيق في المعيشة [٣].

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر المهاجرين: خصالٌ خمس، إذا ابتليتم بهنَّ – وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعلِنوا بها؛ إلَّا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.**

ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلَّا أُخذوا بالسنين، وشدّة المؤنة، وجور السلطان عليهم.

ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلَّا مُنِعوا القَطْر من السَماء ولولا البهائم لم

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٢/ ١٤٥) و«دليل التجّار إلى أخلاق الأخيار» ليوسف النبهاني (ص٢٣).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه»- كتاب التجارات- باب الرجحان في «الميزان» رقم (٢٢٢٢)، والضياء عن جابر، وصححه الألباني في «سنن ابن ماجه» (ص٢٤٠)، و«صحيح الجامع» (٨٢٥).

(٣) «الأمانة في الإسلام» (ص١٩٠- ١٩١).

يُمْطَرُوا.

ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلَّا سلَّط الله عليهم عدوَّهم من غيرهم، فأخذوا بعض ما كان في أيديهم.

وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ﷻ ويتحرَّوا فيما أنزل الله إلَّا جعل الله بأسهم بينهم شديدًا»[١].

• وعن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «خمسٌ بخمْس، ما نقضَ قومٌ العهدَ إلَّا سُلِّط عليهم عدوُّهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلَّا فَشَا فيهمُ الفقرُ، ولا ظهرت فيهم الفاحشةُ إلَّا فشا فيهمُ الموتُ، ولا طفَّفوا المكيالَ إلا مُنِعوا النَّبات، وأُخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلَّا حُبِس عنهمُ القَطْرُ»[٢].

محمد بن المنكدر التاجر الأمين يستسقون بدعائه في البوادي:

□ جاء في سيرة محمد بن المنكدر أنه كان له دكان يبيع فيه ثيابًا بعضها بخمسة، وبعضها بعشرة. فباع غلامه في غيبته ثيابًا من الخمسيات بعشرة. فلمَّا عرف لم يزل يطلب ذلك المشتري طول النهار، حتى وجده. فقال له: «إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة. فقال: يا هذا قد رضيت، فقال: وإن رضيت فإنا لا نرضى لك إلَّا ما نرضاه لأنفسنا. فاختر إحدى ثلاث خصال، إما أن تأخذ ثيابًا من العشريات بدراهمك،

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في «سننه»، والحاكم في «المستدرك» عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٥٥)، و«الصحيحة» (١٠٦).

(٢) حسن: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، وحَسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٣)، و«صحيح الجامع» (٣٢٤٠).

وإما أن نرد عليك خمسة، وإما أن ترد بضاعتنا وتأخذ دراهمك. فقال: أعطني خمسة، فرد عليه خمسة، وانصرف الأعرابي يسأل ويقول: من هذا الشيخ؟ فقيل له: هذا محمد بن المنكدر. فقال: لا إله إلَّا الله هذا الذي نستسقي به - بدعائه - في الوادي إذا قحطنا»[١].

علو همة حسان بن أبي سنان في الأمانة:

كتب غلام حسّان بن أبي سنان إليه من الأهواز أن قصب السُّكَر أصابته آفة، فاشتر السُّكَّر فيمَا قِبَلَك، قال: فاشتراه من رجل، فلم يأت عليه إلَّا قليل، فإذا فيمَا اشترى ربح ثلاثين ألفًا؛ قال: فأتى صاحب السُّكَّر، فقال: يا هذا، إنَّ غلامي كتب إليَّ ولم أُعْلِمْك فأَقِلْني فيمَا اشتريته منك؛ قال الآخر: قد أعْلمْتني الآن وطيَّبته لك، قال: فرجع، ولم يحتمل قلبه؛ قال: فأتاه، وقال: يا هذا، إني لم آت هذا الأمر مِن قِبَل وجهه، فأُحبُّ أن تستردَّ هذا البيع؛ قال: فمَا زال به، حتى رَدَّه عليه»[٢].

يونس بن عبيد الولي.. وهو التاجر الأمين التَّقِي:

□ عن مؤمل بن إسمَاعيل قال: «جاء رجلٌ من أهل الشام إلى سوق الخزّازين، فقال: مطرف بأربعمئة، فقال يونس بن عُبَيْد: عندنا بمئتين؛ فنادى المنادي بالصلاة، فانطلق يونس إلى بني قشير ليُصَلِّي بهم، فجاء وقد باع ابن أَخته المطرف من الشامي بأربعمئة؛ فقال يونس: ما هذه الدراهم؟ قال: ذاك المطرف بعْناه من ذا الرجل، قال يونس: يا عبد الله، هذا المطرف الذي عرضتُ عليك بمئتي درهم، فإن شئت خذه وخذ

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ١٤٨).

(٢) «حلية الأولياء» (٣/ ١١٨).

مائتين، وإن شئت فدعه؛ قال له: مَن أنت؟ قال: رَجُلٌ من المسلمين، قال: أسألك بالله من أنت، وما أسمك؟ قال: يونس بن عُبيد؛ قال: فوالله، إنا لنكونُ في نَحْر العَدُوِّ، فإذا اشتدَّ الأمرُ علينا، قلنا: اللهم ربَّ يونس بن عُبيد فرِّج عنا، أو شبيه هذا. فقال يونس: سبحان الله، سبحان الله»[١].

□ وعن غسّان بن المفضل قال: «جاءت امرأة بمطرف خزّ إلى يونس ابن عُبيد، فألقتْه إليه ليعرضه في السُّوق، فنظر إليه، فقال لها: بكم؟ قالت: بستين درهمًا، قال: فألقاه إلى جاره، فقال: كيف تراه؟ قال: بعشرين ومئة، قال: أرى ذلك ثمنه، أو نحوًا من ثمنه؛ قال: فقال لها: اذهبي، فاستأمري أهلك في بيعه: القدرة، وعشرين ومئة؛ قالت: قد أمروني أن أبيعه بستين، قال: ارجعي إليهم فاستأْمِريهم»[٢].

□ عن أحمد بن سعيد الدارمي قال: «سمعتُ النضر بن شميل وسعيد ابن عامر يقولان: إلَّا الحرير، وقال أحدهما: الخزّ في موضع، كان إذا غلا هناك، إلَّا بالبصرة؛ وكان يونس بن عُبيد خزّازًا، فعلم بذلك؛ فاشترى من رجل متاعًا بثلاثين ألفًا، فلمَّا كان بعد ذلك، قال لصاحبه، هل علمتَ أن المتاع كان غلا بأرض كذا وكذا؟ قال: لو علمتُ لم أَبِع، قال: هَلُمّ إلى مالي، فخذ مالك، فردّ عليه الثلاثين ألفًا»[٣].

□ وعن سكن قال: «جاءني يونس بن عُبيد بشاة، فقال: بِعْها، وابرأ من أنها تقلب العلف وتنزع الوتد، ولا تبرأ بعدما تبع، ولكن ابرأ، وبيّن

---

(١) «الحلية» (٣/ ١٥).

(٢) «الحلية» (٣/ ١٦).

(٣) «الحلية» (٣/ ١٦).

قبل أن يقع البيع»[١].

□ وعن أمية قال: كان يونس بن عبيد يشتري الإبريسم من البصرة، فيبعث به على وكيله بالسوس، وكان وكيله يبعث إليه بالخزّ، فإن كتب وكيله إليه؛ إن المتاع عندهم زائد، لم يشتر منهم أبدًا، حتى يخبرهم أن وكيله كتب إليه: إن المتاع عندهم زائد»[٢].

أمانة الحسن بن صالح:

□ عن عبّاد قال: «بِعْنا جارية للحسن بن صالح، فقال: أخبروهم أنها تنخمت عندنا مَرّة دمًا!!!»[٣].

زاذان الأمين:

□ عن محمد بن جحادة قال: «كان زاذان يبيع الكرابيس، فكان إذا جاءه رجل، أراه شرّ الطرفين، وسامه سومة واحدة»[٤].

محمد بن واسع زين القُرّاء الأمين:

□ عن الربيع قال: «رأيت محمد بن واسع يمرُّ، ويعرض حمارًا له على البيْع، فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيته لم أَبِعْه»[٥].

أمانة الوفاء بالعقود المالية:

* قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة].

---

(١) «الحلية» (٣/ ١٨).

(٢) «الحلية» (٣/ ١٥).

(٣) المصدر السابق (٧/ ٣٢٩).

(٤) المصدر السابق (٤/ ١٩٩).

(٥) «الحلية» (٢/ ٣٤٩).

* وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران].

والعقود متنوعة؛ فهناك عقد البيع، وعقد الإيجار، وعقد الشركة، وغيرها، وكل عَقْد يُبْرمه المرء مع غيره هو أمانة يجب الوفاء بها.

١- الأمانة في عقد استئجار الأجراء:

ينبغي مراعاة الأمانة في استئجار الأُجَراء، والمبادرة في إعطائهم حقوقهم وأجورهم، لقول رسول الله ﷺ: «**أعْطُوا الأجيرَ أجرَه قَبْل أن يَجِفَّ عَرَقُه**»(١).

• وضرب لنا النبي ﷺ مثالًا في أمانة حفظ الأجر لصاحبه وأدائه إليه – ولو بعد حين– في قصة الثلاثة الذين دخلوا في جبل فانحطت عليهم صخرة، **فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله تعالى بأفضل أعمالكم، فقال أحدهم: «اللهم إنْ كنت تعلم أني استأجرت أجيرًا بفرقٍ (٢) من ذرةٍ فأعطيته، وأبى ذلك أنْ يأخذ، فعمدْت إلى ذلك الفرق، فزرعته، حتَّى اشتريت منه بقرًا وراعيها، ثم جاء، فقال: يا عبد الله أعْطني حقِّي، فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك، فقال: أتستهزئُ بي؟ قال: فقلتُ: ما أستهزئُ بك، ولكنَّها لك. اللهمَّ إنْ كنت تعلمُ أني فعلت ذلك ابتغاءَ**

(١) حسن: رواه ابن ماجه عن ابن عمر، وأبو يعلىٰ عن أبي هريرة، والطبراني في «الأوسط» عن جابر، والحكيم عن أنس، وحسّنه الألباني في «الإرواء» (١٤٩٨)، و«صحيح الجامع» (١٠٥٤).

(٢) فَرْق وفَرَق: لغتان بتحريك الراء – وهو الفصيح- وتسكينها مكيال يسع ثلاثة آصع ويُقدَّر وزنه عند الجمهور ٦٥١٦ جرامًا. انظر «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٤٣٧).

وجهِكَ، فأفرُج عنَّا. فكشفَ عنهم»[١]، فهنا برزت عظمة أمانة الرجل في حفظ أجر الأجير، ولمَّا جاء يطلب أجرته وفّاه إيّاها وتبرَّع بذلك النمَاء»[٢].

الأمانة في الوَصيّة:

والوصيّة هي التبرُّع بالمَال بعد الموت، والمقصود بأمانة الوصيّة ما يتعلّق بالجانب المَالي.

• قال رسول الله ﷺ: «**ما حَقُّ امرئٍ مُسْلِمٍ له شيءٌ يُوصي به يبيتُ ليلتيْن إلَّا ووصِيَّتُهُ مكتوبةٌ عنده**»[٣].

□ قال ابن قدامة: «ولا تجب الوَصِيّة إلَّا على مَن عليْه دَيْن، أو عنده وديعة، أو عليه واجبٌ يوصي بالخروج منه، فإن الله تعالى فرض أداء الأمانات، وطريقه في هذا الباب الوصية»[٤].

والوَصِيّة مستحبَّة لمن ترك خيرًا في حق من لا يرث من الأقارب إذا كانوا فقراء في قول عامة أهل العلم[٥].

* قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [البقرة].

---

(١) رواه البخاري في كتاب «البيوع»، باب إذا اشترىٰ شيئًا لغيره بغير إذنه فَرَضيَ. رقم (٢٢١٥).

(٢) «فتح الباري» (٤/ ٤٠٩)، (٦/ ٥٠٧- ٥٠٨).

(٣) رواه البخاري (٢٧٣٨)- كتاب الوصايا- باب الوصايا، ومسلم (١٦٢٧) في كتاب الوَصيّة، ومالك، وأحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

(٤) «المغني» (٨/ ٣٩٠).

(٥) «المغني» (٨/ ٣٩١، ٣٩٤).

* ومن الأمانة في الوصيّة أن لا يضار فيها الورثة، قال تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [النساء: ١٢].

□ قال قتادة في تفسير ﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾: «إن الله تعالى كَرِه الضرار في الحياة، وعند الموتِ، ونهى عنه»[(١)]. وقد عُدَّ الإضرار في الوصية من الكبائر.

ومن الإضرار أن يزيد على الثلث، أو يوصي لوارث[(٢)].

وقد اتفق العلمَاء على رَدِّ ما زاد على الثلث، وعدم صحة الوصية لوارث إذا لم يُجزها الورثة[(٣)].

هذا من جهة أمانة الموصِي، وأما من جهة أمانة الموصَى إليه؛ فإن قَبِلَ الوصية بعد وفاة الموصِي وقبضها، فلا يصح رد الوصية، ويجب على المُوصَى أن يقوم بأمانة إنفاذ الوصية على الوجه الصحيح[(٤)]، وإن وجد جَوْرًا أو حيفًا أو إثمًا في الوصية، عليه أن يعدل فيها بمَا يتفق مع الوجه الشرعي»[(٥)]،[(٦)].

الأمانة في الودائع:

الوديعة من أشهر أنواع الأمانة، وفي قبول حفظها ثوابٌ لمن يعلم من

---

(١) «تفسير الطبري» (٨/ ٦٥).

(٢) «تفسير القرطبي».

(٣) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٢٧/ ١٤٩)، و«المغني» (٨/ ٣٩٦، ٤٠٤).

(٤) «المغني» (٨/ ٤١٥).

(٥) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» لابن القيم (٤/ ١٨٦).

(٦) «الأمانة في الإسلام» (ص١٩٧- ١٩٨).

تفسير الأمانة. والنبي ﷺ كانت عنده ودائع لكفار قريش، ولمَّا أُمِر بالهجرة أودعها عند أم أيمن، وأوصى عليًّا رضي الله عنه، بأن يؤدي الودائع التي كانت عنده للناس»[١].

□ قال ابن مسعود رضي الله عنه: «الأمانة في الصلاة، والأمانة في الصوم، والأمانة في الحديث، وأشدُّ ذلك الودائع»[٢].

وقد قيل: «قوام العَالَم بشيئين: كاسبٌ يَجْمع، وساكنة تحفظ»[٣].

أمانة طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

«استودع عروة بن الزبير طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق مالًا من مال بني مصعب بن الزبير لمَّا خرج إلى الشام، وأم طلحة عائشة بنت طلحة بن عبد الله، فبلغ عروة أن طلحة يبني ويبتاع الرقيق والإبل، والغنم، فلمّا قدم كره أن يكشفه وأن يقتضيه المَال، فجعل يلقاه ويستحي من تقاضيه، فقال له طلحة ذات يوم: ألا تُريد مالك؟ فقال: بلى، قال: فأَرْسِل فخُذه، فقال عروة: متى؟ قال: متى شئت، فبعث مع عروة رسولًا، فإذا هو قد هدم عليه بيتًا، فاستخرج المَال، فأتى به، فتمثَّل عروة ثَمَّ ذلك:

فما استخبأتَ مِن رَجُل خبيئًا ... كمثل الدِّين أو حسبٍ عتيقِ

ذوو الأحساب أكرم ما تُراثٍ ... وأصبرُ عند نائبة الحقوق[٤]

---

(١) «السنن الكبرىٰ» (٦/ ٤٧٢)، و«المغني» (٩/ ٢٥٦).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٤٠).

(٣) «المبسوط» (١١/ ١١٠).

(٤) «الحلية» (٢/ ١٧٦ - ١٧٧).

عامر بن عبد قيس رحمه الله المجاهد الأمين المُخْلص:

لمَّا هبط المسلمون المدائن، وجمعوا الأقباض[١] أقبل رجل بفرس من ذهب مسرج بسرج من فضّة، على لببه[٢] وثفره[٣] الياقوت والزُّمُرُّد! فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال الذين معه: ما رأينا مثله قط! ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه! فقالوا: هل أخذتَ منه شيئًا؟ فقال: أما والله لولا الله -تعالى- ما أتيتُكُم به، فعرفوا أنَّ للرجُل شأنًا. فقالوا: مَن أنتَ؟ فقال: لا والله لا أخبركم ألتحمدوني وتطروني، ولكنِّي أحمد الله تعالى وأرضى بثوابه، فأتبعوه رَجُلًا حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس»[٤].

وليّ الله إبراهيم بن أدهم الأمينُ أيُّ أمين:

□ عن داود بن الجراح قال: «كان إبراهيم بن أدهم ينظر كرمًا في كورة غزّة، فجاء صاحب الكرم، ومعه أصحابه، فقال: ائتنا بعِنَبٍ نأكل، فأتاه بعِنب يُقال له: الخافوني، فإذا هو حامضٌ؛ فقال له صاحب الكرم: من هذا تأكل؟ قال: ما آكلُ مِن هذا، ولا مِن غيره؛ قال: لم؟ قال: لأنك لم تجد لي شيئًا من العنب، قال: فأتني برُمَّان؛ فأتاه برمّان، فإذا هو حامض؛ قال: مِن هذا تأكل؟ قال: لا آكل من هذا، ولا من غيره، ولَكِن رأيته أحمر حسنًا، فظننتُ أنه حلو؛ فقال: لوْ كنت إبراهيم بن أدهم، ما عدَا؛ قال:

---

(١) الأقباض: جَمْع قَبْض، وهو ما قُبض وجُمِع من الغنيمة-«لسان العرب» (١١/ ١٤).

(٢) لببه: أي موضع مقدمته «القاموس المحيط» (١٧٠).

(٣) ثفره: أي مؤخرته- «القاموس المحيط» (ص٤٥٨).

(٤) «تاريخ الطبري» (٤/ ١٩).

فلمَّا عَلِم أنهم عرفوه، هرب منهم وترك كِرَاه»[١].

□ وفي «السير» في ترجمة إبراهيم بن أدهم: «قال إبراهيم بن أدهم: أقبلت إلى العراقّ، فعملتُ فيها أيَّامًا، فلم يَصْفُ لي منها الحلالُ، فقيل لي: عليك بالشام فذكر حكاية نظارته الرُّمَّان، وقال الخادم له: أنت تأكلُ فاكهتنا، ولا تعرفُ الحلو من الحامض؟ قلتُ: والله ما ذُقتها فقال: أتراكَ لو أنك إبراهيم بن أدهم! فانصرف، فلمَّا كان من الغد ذكر صفتي في المسجد، فعرفني بعض الناس، فجاء الخادم ومعه عُنُق[٢] من الناس، فاختفيت خلف الشجر والناس داخلون، فاختلطت معهم وأنا هارب»[٣].

□ ومرّ يزيد بإبراهيم بن أدهم وهو ينظر[٤] كرمًا، فقال: ناولنا من هذا العِنَب، فقال: ما أَذِن له صاحبه، قال: فقلب السوط وأمسك بموضع الشيب، فجعل يقنع رأسه، فطأطأ إبراهيم رأسه، وقال: اضرب رأسًا طالمَا عصى الله، قال: فأعجز الرجل عنه»[٥].

أمانة والد عبد الله بن المبارك رحمه الله:

وَرَد في ترجمة شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك أن والده كان يعمل وكيلًا أو ناطورًا[٦] في بستان لثري من كبار أثرياء بلدته، ولم يكن لهذا

(١) «الحلية» (٧/ ٣٧١- ٣٧٢).

(٢) العُنُق: الجماعة من الناس والرؤساء.

(٣) انظر ترجمة إبراهيم بن أدهم في «السير» (٧/ ٣٨٧- ٣٩٦).

(٤) أي: يحرسه.

(٥) «الحلية» (٧/ ٣٧٩).

(٦) أي: حارسًا لبستان.

الثري إلَّا ابنة واحدة، يأتي إليها كبار الأغنياء وهو يردُّهم بأدب، وكان هذا الثَّري مُعْجَبًا أيَّمَا إعجاب بأمانة خادمة «المبارك»، فدعاه يومًا وسأله عن رأيه في الزواج فقال: يا سيدي إن اليهود يزوِّجون على المَال، والنَّصَارى يزوِّجون على الجمَال، والعرب يزوِّجون على الأحساب والأنساب، والمؤمنون يزوِّجون على الصلاح والتقـوى فانظر يا سيدي – ماذا ترى؟ قال: والله.. وأنا أزوِّج على التقوى، ولا أزوِّجها إلَّا لك. فتزوجها فولدت له عبد الله بن المبارك شيخ الإسلام وإمام الورعين الذي سار على نهج أبيه فكان يقول: لأن أردَّ درهم فيه شبهة أحبُّ إليَّ من الجهاد في سبيل الله.

أمانة سفيان الثوري رحمه الله:

□ عن عبد الرحمن بن مهدي قال: «قدم سفيان البصرة، والسلطان يطلبه، فصار إلى بستان، فأجَّر نفسه لحفظ ثمَاره، فمَرَّ به بعض العشَّارين فقال: مَنَ أنت يا شيخ؟ قال: من أهل الكوفة. قال: أرُطبُ البصرة أحلى أم رطب الكوفة؟ قال: لم أذق رطب البصرة. قال: ما أكذبك! البرُّ والفاجر والكلاب يأكلون الرُّطب الساعة. ورجع إلى العامل، فأخبره ليُعجبه، فقال: ثكلتك أمك! أدركه، فإن كنت صادقًا فإنه سفيان الثوري، فخذه لنتقرّب به إلى أمير المؤمنين، فرجع في طلبه فمَا قدر عليه»[1].

الأمانة في رعاية الأسرة:

• مرّ حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع**

(١) «السير» (٧/ ١٨٨- طبع المكتبة التوفيقيّة.

في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته».

فالزوجة والمرأة أمانة:

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خَطَب في حَجَّة الوداع، فكان ممَا قال: «**اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهُنّ بأَمَان الله، واستحللتم فُرُوجَهُنَّ بكلمة الله، وإن لكم عليهنَّ أن لا يُوطِئْنَ فُرُشكُم أحدًا تَكْرَهُونَه..**»[(١)].

* والزوجان مؤتمنان على رعاية ميثاق الزواج الذي وصفه الله بالميثاق الغليظ قال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: ٢١]، فعقد الزواج أمانة عظيمة، لا يجوز خيانته والتفريط فيه.

أمانة الزوج تجاه حقوق زوجته:

أ- القوامة الأسرية: الزوج مؤتمن على القيام بشؤون أسرته والإنفاق عليها، قال عز وجل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [النساء: ٣٤].

• وقال النبي ﷺ: «.. **ألا وإنَّ حَقَّهُنَّ عليكُم أَنْ تُحْسِنُوا إِليهِنَّ في كِسوتِهِنَّ وطَعَامِهِنَّ**»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (١٢١٨).

(٢) حسن: رواه الترمذي في «سننه»-كتاب تفسير القرآن-باب سورة التوبة (٣٠٨٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وحسّنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

• وقال رسول الله ﷺ: «**حَقُّ المرأة على الزوج أن يُطعِمَها إذا طَعِم، ويكسوها في البيت**[١].

إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يُقَبِّحَ [٢]، **ولا يهجرَ إلَّا في الفراش**» وعلى الزوج أن يراعي النفقة الحلال. سئل أحمد بن حنبل عن حديث النبي ﷺ: «**كَفَى بِالمرءِ إثْمًا أنْ يُضَيِّع من يَقُوتُ**»[٣]. قال: «إذا كان يسعى على عياله كيف يضيعهم؟ قيل له: فإن أطعمهم حرامًا يكون ضيعة لهم؟ قال: شديدًا»[٤]. وعمل الأبطال أكل الحلال والسعي على العيال.

• كمَا أن على الزوج أن يرعى أهله بمَا اؤتمن عليه من حقوق وواجبات، قال رسول الله ﷺ: «.. **وإنَّ لزَوْجِكَ عَلَيكَ حَقًّا**»[٥].

• وعليه أن يحسن عشرتها، وأن يحسن خُلُقه معها، فقد قال ﷺ: «**خياركم خياركم لنسائهم**»[٦].

---

(١) لا يسمعها ما تكره كقبَّح الله وجهك ونحوه.

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، والحاكم عن معاوية بن حيدة، وكذا رواه ابن حبان، والبيهقي في «سننه»، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٠٣٣)، و«صحيح الجامع» (٣١٤٩).

(٣) حسن: رواه أحمد، وأبو داود في «سننه» كتاب الزكاة- باب في صلة الرحم (١٦٩٢)، والبيهقي في «سننه» عن ابن عمرو، وحسّنه الألباني في «الإرواء» (٨٩٤)، و«صحيح سنن أبي داود» (١/ ٤٦٩)، و«صحيح الجامع» (٤٤٨١).

(٤) «الحث على التجارة» لأبي بكر الخلال (ص٢٠).

(٥) رواه البخاري في كتاب الصوم- باب حق الضيف في الصوم (١٩٧٤).

(٦) صحيح: رواه ابن ماجه عن ابن عمرو، ورواه أحمد، والترمذي، وابن حبان عن أبي هريرة، وصحّحه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٥)، و«صحيح الجامع» (٣٢٦٥).

• وقال ﷺ: «خياركم خيرُكم لأهله»[١].

• وقال ﷺ: «خيرُكم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[٢].

• وقال ﷺ: «من كان يُؤمن بالله واليوم الآخر، فإذا شهد أمرًا فليتكلَّم بخير أو ليسكُت، واستوصوا بالنساء، فإن المرأة خُلِقت مِن ضِلْع، وإن أعوج شيء في الضِّلْع أعلاهُ، إن ذهبتَ تُقيمُه كَسَرتَهُ، وإن تركتَهُ لم يزل أعوج، استوصوا بالنساء».

ب- **تأديب الزوجة وتعليمها**: الزوج مؤتمن على تأديب زوجته وتعليمها ما يقوم به صحة عبادتها، وما ينفعها من أمور دينها، قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثةٌ لهم أَجْرَان**: -وذكر منهم- **ورجلٌ كانت عِندَهُ أَمَةٌ فأَدَّبَها فأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وعَلَّمَهَا فَأَحسنَ تَعْلِيمَهَا، ثم أَعْتقَهَا فتزوَّجَهَا**»[٣].

□ وقال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: «الاعتناء بالأهل والحرائر في تعليم فرائض الله وسنن رسوله آكد من الاعتناء بالإماء»[٤].

• وكان النبي ﷺ يُوصي أصحابه رضي الله عنهم بتعليم أهليهم فيقول ﷺ: «**ارجِعُوا إلى أَهْلِيكُم، فَأَقِيمُوا فِيهِم وَعَلِّمُوهُم..**»[٥].

وليحرص على تعليمها أمور عقيدتها، ويحرص على حال قلبها

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي كبشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٦٦).

(٢) صحيح: رواه الترمذي عن عائشة، ورواه ابن ماجه عن ابن عباس، ورواه الطبراني في «الكبير» عن معاوية، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٥)، و«صحيح الجامع» (٣٣١٤).

(٣) رواه البخاري (٩٧) في كتاب العلم- باب تعليم الرجل أمَته وأهله.

(٤) «فتح الباري» (١/ ١٩٠).

(٥) رواه البخاري - كتاب الأذان- ، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة- رقم (٦٣١).

ورعايته، ويحضُّها على التهجد، وكثرة الذكر، وقراءة القرآن، والترقِّي في مراتب الإيمَان ومدارجه، ويوصيها بعلو الهمة في أعمَال القلوب.

ج- **العفاف والستر**: الزوج مؤتمن على حفظ امرأته، ومنعها من التبرج والاختلاط بالرجال الأجانب، ومأمور بسترها وإعفائها وحمايتها من الوقوع في الفواحش، أو إثارة الفتنة، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب].

□ قال ابن تيمية: «إن المرأة يجب أن تصان وتحفظ بمَا لا يجب مثله في الرجل؛ ولهذا خصت بالاحتجاب، وترك إبداء الزينة، وترك التبرج، فيجب في حقها الاستتار باللباس والبيوت، ما لا يجب في حق الرجل؛ لأن ظهور النساء سبب الفتنة»[(١)].

د- **حفظ الأسرار**: الزوج مؤتمن على حفظ أسرار زوجته بأن لا يتكلم بمَا يكون بينه وبينها من أمور الاستمتاع ووصف تفاصيل ذلك[(٢)]، وما يجري فيه من أمور خاصة من قول أو فعل ونحوه، فهو من أعظم الأمانة التي يجب على الزوج أن يحفظها.

• قال النبي ﷺ: «**إنَّ من [(٣)] أعظَمِ الأَمانةِ [(٤)] عند الله يوم القيامة، الرجل يُفْضِي إلى امرأته وتُفْضِي إليه ثم يَنْشُرُ سِرَّهَا**»- وفي رواية-: «**إنَّ من أَشَرِّ النَّاس عند الله مَنزلَة يَوم القيامة، الرجل يُفضي إلى امرأتِهِ، وتُفْضي**

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٢٩٧).

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٠/ ٨).

(٣) وفي رواية عن ابن نمير «إن أعظم».

(٤) إن من أعظم الأمانة: على حذف المضاف، أي: أعظم خيانة الأمة.

إليه، ثم يَنشرُ سِرَّهَا»[١].

فالأزواج الذين ينشرون أسرار نسائهم، أولئك شرار الناس عند الله تعالى منزلة يوم القيامة.

ومن الأمثلة في أمانة حفظ الأسرار الزوجية ما روي عن بعض الصالحين: أنه أراد أن يطلق امرأة، «فقيل لَهُ: ما الذي يربيك منها؟ فقال: العاقل لا يهتك ستر امرأته. فلمَّا طلقها، قيل له: لِمَ طلقتها؟ فقال: ما لي ولامرأة غيري؟»[٢].

هـ- **الغَيْرَةُ على الزوجة**: الزوج مؤتمن على زوجته، ومن لوازم أمانته أن يَغَارَ عليها، ولذلك قيل: «كُلُّ أُمَّة وُضِعَت الغَيْرَةُ في رجالها، وُضِعَت الصِيَانَةُ في نسائها»[٣].

وأن يراعي الزوج الاعتدال في هذه الغَيْرَة، فإن الغَيْرَةَ منها ما هو محمود، ومنها ما هو مذموم. فالغَيْرَةُ المحمودةُ هي التي في محلها وممَا لا بُدَّ منه.

• فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله يَغَارُ، وإنَّ المؤمنَ يَغَار..**»[٤].

• وقال سعد بن عبادة ﷺ: «لو رأيتُ رجلًا مع امرأتي لَضَرَبْتُه

---

(١) رواه مسلم (١٤٣٧).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٢/ ١١٧).

(٣) المرجع السابق (٣/ ٣٢٣).

(٤) رواه أحمد، والبخاري في كتاب النكاح، باب الغيرة (٥٢٢٣)، ورواه مسلم في كتاب التوبة، باب غيره الله تعالى، (٢٧٦١)، ورواه الترمذي عن أبي هريرة.

بالسَّيفِ غير مُصْفِح»[١]. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**أَتَعْجَبُونَ من غَيْرَةِ سعد؟ لأنا أَغْيَرُ منهُ، والله أَغْيَرُ مني**»[٢].

□ وكان الحسن البصري يقول: «أتَدَعُون نساءَكُم يُزاحمون العُلُوج[٣] في الأسواق؟ قَبَّحَ الله من لا يغَار»[٤].

□ والغَيْرَة المذمومة هي ما تدعو الزوج إلى التمَاس عثرات زوجته والتجسس عليها وتَخْوينها، وهو أمر منهي عنه، روى جابر رضي الله عنه: «نَهَى رسولُ الله ﷺ أن يطرقَ الرَّجُلُ أهلَهُ ليلًا يَتخوَّنُهُم أو يلْتَمِسُ عَثَرَاتِهم»[٥].

ثانيًا: أمانة الزوجة تجاه حقوق زوجها:

أ- طاعتها لزوجها: الزوجة مؤتمنة وملزمة بطاعة الزوج الذي له حق القوامة عليها ما دام لم يأمرها بمعصية، والمرأة الصالحة الأمينة هي التي تحفظ معروف زوجها وتطيعه في المعروف، قال تعالى:

---

(١) مِصْفَح: قال القاضي عياض: «هو بكسْر الفاء وسكون الصاد المهملة، ورويناه أيضًا بفتح الصاد، فمن فتح جعله وصفًا للسيف وحالا منه، ومن كسر جعله وصفًا للضارب وحالاً منه»- «فتح الباري» (٩/ ٣٢١).

(٢) رواه البخاري في كتاب النكاح وكتاب الحدود باب من رأىٰ مع امرأته رجل فقتله (٦٨٤٦)، ورواه مسلم في كتاب اللعان (١٤٩٩).

(٣) العُلُوج: جمع عِلْج، الرجل من كُفّار العجم- «لسان العرب» (٩/ ٣٤)، و«القاموس المحيط» (ص٢٥٤).

(٤) «إحياء علوم الدين» (٢/ ١٠٤).

(٥) رواه مسلم -كتاب الإمارة- ، باب كراهة الطروق، وهو الدخول ليلاً، لمن ورد من سفر (٣/ ١٥٢٨).

﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

□ وقال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد في قول الله تعالى: ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾: «يعني مطيعات لأزواجهن»[(١)].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صَلَّت المرأةُ خَمسَهَا، وصَامَت شَهرَهَا، وحَصَّنَت فَرجَها، وأطَاعَت بَعلَهَا دَخَلَت الجَنَّة من أي أَبوابِ الجنَّةِ شَاءَت**»[(٢)].

ب- **حفظ نفسها وعرضها**: الزوجة مؤتمنة على حفظ نفسها وعرضها، قال النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع: «.. **وَلَكُم عَلَيهن أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُم أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ..**».

□ وجاء عن أُبَي بن كعب رضي الله عنه قوله: «من الأمانة أن المرأة اؤتمنت على فرجها»[(٣)].

□ وقال جرير يرثي امرأته في عفافها:

كَانَت إذا هَجَرَ الخَليل فِرَاشَهَا خَزْنَ الحَدِيثِ وعَفَّت الأسرار[(٤)]

ج- حفظ أسرار الزوج: الزوجة مؤتمنة على حفظ أسرار زوجها، ويجب عليها أن تحرص أشد الحرص على عدم إفشائها، ولا شك أن حفظ سر الزوج من أخص خصائص أمانة الزوجة تجاه زوجها، ومن

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٩٣).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤١٦٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٠)، وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٨٩).

(٤) «ديوان جرير»، شرح محمد حبيب، تحقيق د. نعمان طه (٨٦٥).

أكثرها إسهامًا في ديمومة الحياة الزوجية واستقرارها.

• ومن أعظم الأسرار ما يكون من أمور الاستمتاع جاء في حديث النبي ﷺ: «**إنَّ من أَعَظمِ الأَمانةِ عند الله يوم القيامةِ، الرَّجل يُفْضِي إلى امرأتِهِ وتُفْضِي إليهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا**»[1].

وكذلك ما يعتري الزوج من مشكلات مالية أو اجتمَاعية فيفضي إليها بهمومه، ويتنفس الصعداء في تبسطه في الحديث معها، فتقتضي الأمانة أن تراعي الزوجة حديثه، وتنفيس كربته، وقضاء حاجته، والستر على حاله أمام القريب والبعيد.

د- حفظ مال الزوج وعدم الإسراف في إنفاقه: الزوجة مؤتمنة على حفظ مال زوجها وعدم الإسراف في المأكل والمشرب، قال تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف].

* وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ [الفرقان].

• وغاية هذه الأمانة أن المرأة لا تتصرف في مال زوجها إلَّا بإذنه إلَّا في الصدقة المعتدلة، كمَا في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تَصَدَّقَت المرأةُ من طعام زوجِها، غَير مُفْسِدَةٍ، كان لها أجرُها، ولزوجِها بمَا كَسَب، وللخازنِ مثل ذلك**»[2]، ويُعْفَى من ذلك الشيء اليسير الذي لا يُؤبَه لَهُ، ولا يَظهر فيه النقصان، أو إذا كان الزوج يأذن لها

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» -كتاب الزكاة، باب أجر الخادم إذا تصدّق (١٤٣٧).

إجمالًا [١].

هـ- السماح لمن يأذن لَهُ الزوج في دخول المنزل، وخروجها منه بإذنه: الزوجة مؤتمنة بأن لا تسمح لأحد بدخول المنزل إلَّا بإذن الزوج، قال النبي ﷺ: «**فأمَّا حَقُّكُم على نِسَائِكُم فَلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ من تَكْرَهُونَ، ولا يَأْذَنَّ في بُيُوتِكُم لِمَن تَكْرَهُونَ**»، وهي مؤتمنة على أن لا تدخل أحدًا منزل الزوج وهو يكره دخوله، سواء أكان الداخل امرأة أو أحدًا من محارم الزوجة، فالنهي يتناول جميع ذلك [٢].

وهي كذلك مؤتمنة بأن لا تخرج من منزل زوجها إلَّا بإذنه، بل حتى ذهابها إلى المسجد لأداء الصلاة والعبادة مشروط بإذن الزوج، وعلى الزوج أن لا يمنع أهله من الذهاب إلى المسجد إذا لم يكن هناك محذور في ذهابها.

و- التزامها بأحكام العِدَّة والحيض ونحوها: الزوجة مؤتمنة في عِدَّتِها وحيضِها، وما يتعلق بذلك من عِدَّةِ الوفاة وانقضائها، والاختلاف في المهر والنزاع فيه ونحو ذلك [٣].

فيجب على المرأة أن تحسب عدتها بعناية، حتى لا تفرِّط في شيء من حقوق زوجها ومنعه من الاستمتاع بها، بل من الأمانة أن تُعلم زوجها بانقضاء حيضها، ولا تسمح لَهُ بجمَاعها أثناء فترة الحيض والنفاس،

---

(١) «فتح الباري» (٣/ ٣٠٣).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٨/ ١٨٤).

(٣) انظر: «الأم» للشافعي (٥/ ٥٥، و٧٥، و١٠٦، و٣٢٧)، و«الكافي» لابن عبد البر (ص٢٥٣، ٢٥٥)، و«الروض المربع» (٢/ ٢٨٢، و٣٠٨- ٣٠٩).

وهذا من أعظم الدِّيانة والرِّعاية في حق زوجها بمَا أحل الله تعالى له.

وكذلك من أمانة الزوجة إعلام زوجها بمَا كتب الله تعالى لها من الحمل في بطنها لتتأكد رعايته على المولود له، خاصة عندما تضيق سبل المعاشرة بالمعروف بينهمَا، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]»[(١)].

أمانة الزوجيْن في تربية الأولاد:

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم].

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أدِّبوهم وعلِّموهم».

ويتعاون الزوجان في تربية أولادهمَا تربية إسلامية سليمة.

أ- أمر الأولاد بأداء الصلاة: الزوجان مؤتمنان على حث أولادهمَا بأداء الصلاة منذ صغرهم، كمَا أوصى بذلك النبي ﷺ: «**مُرُوا صِبْيَانَكُم للصَّلاةِ إذَا بَلَغُوا سَبعًا، واضرِبُوهُم عَلَيها إذَا بَلَغُوا عَشرًا، وفَرِّقُوا بَينَهم في المَضَاجِع**»[(٢)].

ب- تربية الأولاد وتعليمهم: الزوجان مؤتمنان على تربية أولادهما وتعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، يقول ابن القيم: «فمن أهملَ تعليمَ ولدِهِ ما ينفعه، وتَرَكَهُ سُدى، فقد أساءَ إليه غايةَ الإساءة، وأكثرُ

---

(١) «الأمانة في الإسلام» (ص١٥٠- ١٥٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود في كتاب الصلاة- باب متىٰ يؤمر الصبي بالصلاة؟ (٤٩٥)، وقال عنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»: «حديث حسن صحيح».

الأولادِ إنمَا جاء فسادُهُم من قِبَلِ الآباءِ وإهمَالِهِم لهم، وتركِ تعليمِهِم فرائضَ الدين وَسُنَنَه، فأضاعوها صغارًا، فلم ينتفعوا بأنفسِهِم ولم ينفعوا آباءَهُم كِبَارًا»[1].

□ ولله در القائل:

ليس اليتيم من انتهى أبوا ... هُ وخَلَّفاه في الحياة ذليلًا
إن اليتيم هو الذي ترى له ... أُمًّا تخلَّتْ أوْ أبًا مشغولًا

والواجب على الأبويْن في أمانتهمَا هذه أن يتَّقيا في ذرياتهمَا، ويشرفوا على تعليمهم العلم النافع، وتحفيظهم كتاب الله وتعليمهم السُّنَّة الشريفة ويبرزا لهم محاسن الدين الإسلامي، ويعرفانهم تاريخ المسلمين وقوادهم وأبطالهم وعلمَائهم وعُبّادهم. ويعلِّمانهم مكارم الأخلاق، ويحلِّيان أولادهمَا بها، ويحثُّوهم على الأخذ بأسباب الدنيا حتى يكونوا أبناء مخلصين للإسلام يُشار إليهم بالبنان، ويرغِّبانهم في التنافس في طلب الدار الآخرة والحرص عليها. وغرس خلق الأمانة فيهم وتربيتهم على ذلك.

أمانة الأولاد في البِرِّ بوالديهم:

حق الوالدين عظيم ومعروفهمَا لايجازى، فليس أعظم إحسانًا ولا أكثر فضلًا بعد الله تعالى منهمَا، لذا فإن أمانة الأولاد في البر بالوالدين جِدُّ عظيمة، حيث أوصى المولى ﷻ بالوالدين إحسانًا بعد الأمر بعبادته، إعلانًا لقيمة هذا البرِّ في قوله سبحانه: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ

(١) «تحفة المورود بأحكام المولود» لابن قيم الجوزية (ص١٣٩).

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

• وأوصى النبي الكريم ﷺ ببر الوالدين، وجعله أحب الأعمَال إلى الله تعالى بعد الصلاة مباشرة، روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أَحَبُّ إلى الله؟ قال: «**الصَّلاةُ على وقتها**». قال: ثم أي؟ قال: «**ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَين**». قال: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»(١).

□ **وتتجلى أمانة الأبناء في البر بوالديهم في أمور عديدة أهمها:**

أ- **الإحسان إلى الوالدين**: تتمثل الأمانة في الإحسان إلى الوالدين، والقيام بهمَا في حالة نشاطهمَا وضعفهمَا، والسهر على خدمتهمَا، قال عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان].

ويدخل في الإحسان طاعة الوالدين ما لم يأمرا بمعصية، وحسن صحبتهمَا في الدنيا، والابتعاد عمَا يؤذيهمَا.

ب- **الإنفاق على الوالدين**: يجب الإنفاق على الوالدين المحتاجين، والقيام بتفقد حاجاتهمَا دومًا، قال ﷻ: ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وهو **جزء من بعض جميلهمَا** على أولادهمَا بأن يتحمل الأبناء بعض الأمانة **الواجبة تجاه البر بوالديهم**، وهو واجب جسيم، يتألم في سبيلهمَا الكثير **من المشاق للفوز برضا الله تعالى**.

---

(١) رواه البخاري في كتاب **مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة** (٥٢٧).

ج- عدم إيذاء الوالدين: تظهر خطورة الإخلال بأمانة الأولاد تجاه البِرِّ بالوالدين بإيذائهما بقول أو فعل، من نَهْرِهِمَا أو سَبِّهِمَا أو عَدَم احترامهما الذي هو العُقُوق المنهي عنه، وهو من الكَبائر، فقد سئل النبي ﷺ عن الكبائر فقال ﷺ: «**الكَبَائِرُ: الشِّرْكُ بالله، وقَتْلُ النَّفْسِ، وعقوق الوالدَيْن**»[(١)].

ومن أمانة الأبناء بالبر بوالديهم أن يأمراهما بالمعروف وينهاهما عن المنكر متى وقعا في مُحَرَّم، وأن ينصاحاهما دائمًا في الخير»[(٢)]. تحبُّ أولادك طبعًا، فأحببْ والديْك شرعًا، وارع أصلًا أنبت لك فرعًا، وتذكر طيب المرعى أولًا وأخيرًا ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

أمانة حفظ الأسرار:

• قال رسول الله ﷺ: «**إنما المجالس بالأمانة**»[(٣)].

فالمجالس تعقد بالأمانة على ما يجري فيها من أمور، ويجب أن تحفظ أسرارها، ولا يحل للمرء أن يفشي من أسرار إخوانه ما لا يحبون أن يخرج عنهم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إذا حَدَّثَ الرَّجُلُ الحَديثَ ثم الْتَفَتَ فَهِي أَمَانَةٌ**»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري واللفظ له -في كتاب الأدب- باب عقوق الوالدين من الكبائر (٥٩٧٧)، ورواه مسلم في كتاب «الإيمان»- باب بيان الكبائر وأكبرها (٨٨).

(٢) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٤٧٦).

(٣) حسن: رواه أحمد، وأبو داود عن جابر، والديلمي عن ابن مسعود، وابن المبارك عن أبي بكر بن حزم مرسلًا، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٧٨).

(٤) حسن: رواه الترمذي في كتاب «البر والصلة»، باب ما جاء أن المجالس بالأمانة، وقال عنه: حسن (١٩٥٩): رواه أبو داود (٤٨٦٨)، وقال الألباني في «صحيح سنن

□ قال المباركفوري في شرحه للحديث: «تَحْسُنُ المَجَالسُ أو حُسْنُ المجَالس وشَرَفُها بأَمَانة حَاضِريها على ما يقع فيها من قَول وفعل؛ فكأن المعنى ليكن صاحب المجلس أمينًا لما يسمعه ويراه»[(١)].

□ ويؤكد هذا المعنى العظيم الحسن البصري بقوله: «إنمَا تُجالسونا بالأمانة، كأنكم تظنون أن الخيانة ليست إلَّا في الدينار والدرهم، إن الخيانة أشد الخيانة أن يجالسنا الرجل، فنطمئن إلى جانبه، ثم ينطلق فيسعى بنا..»[(٢)].

وينبغي أن يراعي أن حفظ الأسرار مشروط بأن لا يؤثر في حق الله تعالى أو حق المسلمين، وإلَّا عُدَّ من الخيانة لحق الله تعالى أو حق المسلمين[(٣)].

إن أمناء الأسرارِ عزيزٌ وجودهم، فهم أقل وجودًا من أمناء الأحوال، «وحفظ المَال أيسر من كتم الأسرار»[(٤)]،والسبب في صعوبة حفظ الأسرار كمَا يقول الراغب الأصفهاني: «إن للإنسان قوتين: آخذة، ومعطية، وكلتاهمَا تتشوف إلى الفعل المختص بها، ولو لا أن الله تعالى وكل المعطية بإظهار ما عندها لمَّا أتاك بالأخبار من تزوده، فصارت هذه القوة تتشوف إلى فعلها الخاص بها، فعلى الإنسان أن يُمسكها، ولا يُطلقها إلى حيث ما

أبي داود» (٣/ ٩٢٢) وهو في «صحيحة» برقم (١٠٨٩)، وفي «صحيح الجامع» (٤٨٦).

(١) «تحفة الأحوذي» (٦/ ٩٣).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ١٢٥).

(٣) «الأخلاق الإسلامية وأسسها» (٢/ ٣٦١).

(٤) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٩٦)، و«المستطرف» لشهاب الدين الأبشيهي (١/ ٣٢٦).

يجب إطلاقها»[١].

□ قال الكفوي: «كل ما افْتُرِضَ على العباد فهو أمانة كصلاةٍ وزكاة وصيام وأداءَ دَيْن، وأوْكدها الودائع، وأوْكد الودائع كتْمُ الأسرار»[٢].

□ وذكر الماوردي بعض الخصال التي تعين من استودع سرًّا أن يحفظه، وتوجب حفظ الأمانة، وهي أن يكون: «ذا عقل صاد، ودين حاجز، ونصح مبذول، وود موفور، وكتومًا بالطبع»[٣]،[٤].

أبو بكر الصديق الحافظ الأمين لِسرِّ رسول الله ﷺ:

□ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن عمر بن الخطاب حين تأيَّمت حفصة بنت عمر من خُنَيْس بن حذافة السهمي – وكان من أصحاب رسول الله ﷺ- فتُوُفِّي بالمدينة –، فقال عمر بن الخطاب: أتيتُ عثمان ابن عفّان، فعرضتُ عليه حفصة فقال: سأنظر في أمري، فلبث ليالي، ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوّج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إنْ شئتَ زوَّجتك حفصة بنت عمر، فصَمَت أبو بكر، فلم يرجع إليّ شيئًا، وكنتُ أوجد [٥] عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي، ثم خطبها

---

(١) «الذريعة إلى مكارم الشريعة» (ص٢٩٧).

(٢) «الكُليات» (ص١٨٧).

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٩٦).

(٤) «الأمانة في الإسلام» (ص١٦٢-١٦٣).

(٥) قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ٢٢١): أيْ أشدُّ موجدة أيْ غضبًا على أبي بكر من غضبي على عثمان، وذلك لأمْرَيْن: أحدهما: ما كان بينهما من أكيد المودّة، وذلك لأن النبي ﷺ آخى بينهما، والثاني: لكون عثمان أجابه أوّلًا ثم اعتذر له.
ثانيًا: لكون أبي بكر لم يعد عليه جوابًا.

=

رسول الله ﷺ، فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلَّك وجدتَ عليَّ حين عَرضتَ عليَّ حفصة، فلم أرجعِ إليك شيئًا. قال عمر: قلتُ: نعم. قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضتَ عليَّ إلَّا أني كنتُ قد علمتُ أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأُفشيَ سر رسول الله، ولو تركها رسول الله قبِلْتُها»[1].

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أكتم الناس لِسرِّ رسول الله ﷺ:

□ كان حذيفة رضي الله عنه أمينًا على سِرِّ رسول الله ﷺ على المنافقين، وكان يُقال له: «صاحب السِّرِّ الذي لا يعلمه أحدٌ غيره»[2].

حفظ أم أبيها فاطمة عليها السلام ورضي الله عنها لِسرِّ رسول الله ﷺ:

□ كانت رضي الله عنها حافظةً لِسرِّ أبيها رسول الله ﷺ. قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «إنَّا كُنَّا أزواج النبي ﷺ عنده جميعًا لم تغادِرْ منا واحدةٌ، فأقبلت فاطمة تمشي ما تُخطئ مِشيتَهَا من مِشيةِ رسولِ الله ﷺ، فلمَّا رآها رحَّب وقال: مرحبًا بابنتي، ثم أجلسَها عن يمينه – أو عن شمَاله- ثم سَارَّهَا، فَبَكَت بُكاءً شديدًا، فلمَّا رأى حُزْنَها سَارَّهَا الثانية، فإذا هي تضحك. فقلت لها: - أنا من نسائه- خَصَّك رسول الله بالسِّرِّ من بيننا ثم أنت تبكين، فلمَّا قام رسول الله ﷺ سألتُها عَمَّا سَارَّهَا؟ قالت: ما كُنتُ

ووقع في رواية ابن سعد: «فغضب عليّ أبو بكر، وقال فيها: كنتُ أشدُّ غضبًا حين سكتَ مني على عثمان» اهـ.

(١) رواه البخاري.

(٢) انظر «صحيح البخاري»-كتاب فضائل الصحابة- باب مناقب عمّار وحذيفة رضي الله عنهما، رقم (٣٧٤٢).

لأفشي على رسول الله ﷺ سِرَّهُ. فلمَّا توفي قلت لها: عزمت عليك بمَا لي عليك من الحق – لمَا أخبرتني. قالت: أما الآن فنعم، فأخبرتني قالت: أما حين سارَّني في الأمر الأول فإنه أخبرني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة، وإنه قد عارضني به العام مرتين، ولا أرى الأجل إلَّا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإني نعمَ السلفُ أنا لك. قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت. فلمَّا رأى جزعي سارَّني بالثانية: قال: يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين؟ أو سيدة نساء هذه الأمة»[(١)].

حفظ الغلمان لأسرار الكبار:

ولا يتوقف الأمر على أمانة حفظ الأسرار عند الرجال والنساء من الصحابة بل حتى الغلمان، فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه- الغلام الصغير الذي يخدم رسول الله ﷺ يقول: «أَسَرَّ إِلَيَّ النبي ﷺ سرًّا فمَا أخبرتُ به أحدًا بعده، ولقد سألتني أم سُلَيم فمَا أخبرتُها به»[(٢)].

وكل امرئ عُهد إليه بسر يجب أن يحفظه؛ سواء أكان حاكمًا أم طبيبًا أم موظفًا أم عاملًا..، وكمَا قيل: «قلوب العقلاء حصون الأسرار»[(٣)].

□ وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه في حفظ الأمين للسر:

---

(١) رواه البخاري في كتاب «الاستئذان»، باب من ناجى بين يدي الناس، ولم يخبره بسر صاحبه..، رقم الحديث (٦٢٨٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب «الاستئذان»، باب حفظ السر، رقم الحديث (٦٢٨٩).

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٩٦).

وأمـــينٍ حَفَّظتـــه سِرَّ نفـــسي فوعاهُ حِفْظَ الأمين الأمينَا[١]،[٢]

أمانة ستر العورات[٣]:

أمانة سَتْر العورات ضرورية، «فلا يخلو الإنسان في دينه ودنياه وأخلاقه وأفعاله عن عورات، الأَوْلى في الدين والدنيا سَتْرها، ولا تبقى السَّلامة مع انكشافها»[٤].

□ قال النووي: «السِّتْرُ المندوب إليه.. السِّتْرُ على ذوي الهيئات ونحوهم؛ ممن ليس هو معروفًا بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك فيُستحب أن لا يستر عليه، بل ترفع قضيته إلى وَلِيِّ الأمْرِ، إن لم يخف من ذلك مفسدة لأن السِّتْرَ على هذا يطعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات..»[٥].

• قال رسول الله ﷺ: «**من ستر أخاهُ المسلمَ في الدنيا، ستره الله يوم القيامة**»[٦].

• وقال ﷺ: «**من نَفَّس عن مؤمن كُرْبَةً مِن كُرَب الدنيا نفّس الله عنه كُرْبةً من كُرَب يوم القيامة، ومَن يَسَّر على مُعْسِر، يسَّرَ الله عليه في الدنيا**

---

(١) «ديوان حسان بن ثابت» (ص٤٦٧).
(٢) «الأمانة في الإسلام» (ص١٦٣-١٦٤).
(٣) «الأمانة في الإسلام» (ص١٦٦).
(٤) «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٣٦).
(٥) «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ١٣٥).
(٦) صحيح: رواه أحمد عن رجل، ورواه أحمد، والحميدي عن أبي أيوب وعقبة، ورواه أحمد، عن سلمة بن مخلد، وأحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه وابن الجارود عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٤١).

والآخرة، ومن سَتَرَ مُسْلِمًا ستره الله في الدنيا والآخرة..»[(١)].

أمانة الكلمة:

* امتنَّ الله على الإنسان فقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن]، فكيف إذا كان هذا البيان أرقى البيان معنًى ولفظًا.

إن أحسن وشي رقمته الأقلام، وأبهى كلمات وبيان نطق به الإسلام، وأبهى زهر تفتَّحتْ عنه الآكام، قول يفوح بعبير الإسلام نفحُه، ويُشرِق في سماء الطروس صبحه، كزهر الروض أو نفحة الصبا ساريةً على الزَّند والبان.

□ نريد كلامًا وقولًا يُغرِّدُ على دوحة الإسلام لا ينقُّ نقيق الضفادع.

* قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق].

• وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ العبدَ لَيَتكَلَّمُ بالكلِمَةِ مِنْ رِضْوانِ الله لا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ الله بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتكلَّمُ بِالْكَلِمَةِ منْ سَخَطِ الله لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا في جَهَنَّمَ**»[(٢)].

□ نريدُ كلامًا راقيًا من نفوس تُدرِك قيمة الجمال ما وُجِدت على الأرض نفوس تدرك قيمة الخير.. كلام يُسْقي ويرشح من نبع الكتاب والسُّنَّة الذي لا تُكدِّرهُ الدِّلاء.. كل كلمة كأنها زهرة تفوح، أو نجم يلوح، تظهر فيه صفات الجمال والخير، ينطق بأبلغ ما تفهمه النفوس من المعاني يفيض الجَمَال على نفسه، فيصبح قطعة من هذا الجَمَال.

---

(١) رواه أحمد، ومسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في «الرقاق» (٦٤٧٨)، ومسلم في «الزهد والرقائق» (٢٩٨٨)، ومالك في «الموطأ» في كتاب «الكلام» (٢/ ٧٥٢) رقم (٦).

□ ومن أمانة الكلمة: أن تكون الكلمة راقية طاهرة، كالرِّياض المنوَّرة بأزهارها، وكالطيور المغرِّدة بألحانها، كالأشجار المُصَفَّفَة بأغصانها، وكالنجوم المتلألئة بالنور الدائم. وكعذوبة نور النهار والمَاء البارد على الظمأ.

□ نريد كلامًا رقيقًا صورة لرِقَّة النَّفْس، دقيقًا متناهيًا في العمق، صورة لِدقَّة نظرة صاحبه إلى الحياة، يُري الناس أن الكلام أُمة من الألفاظ عاملةٌ في حياة أمَّة من الناس، ضابطة لها المقاييس التاريخية، مُحكِمة لها الأوضاع الإنسانية، مشترِطة فيها المثلَ الأعلى، حَامِلةً النور الإلهي على الأرض.

□ نريد كلامًا عاليًا يُنْشِئُ الأُمَّة إنشاءً ساميًا، ويدفعها إلى المعالي دفعًا، ويردُّها عن سفاسِف الحياة، ويملأ سرائرها يقينًا ونفوسَها حَزْمًا، وأبصارها نظرًا وعقولها حِكْمة.

□ نريد رَجُلًا يكون لأمته ولِلُغَتها في مواهب قلمه وكلامه لقبٌ من ألقاب التاريخ.

□ نُريد المسلم نقي الكلمة؛ كأنه إنسانٌ من الفلك يُخَزِّن الأشعة ويريقُها في يده الأنوار والظلال يعمل بها عمل الفجر كلما أظلمت عَلَى الناس معاني الحياة، ولا تزال الحكمة تُلقي إليه الفكرة الجميلة؛ ليعطيها هو صورة فكرتها وتوحي إليه معنى الحق ليؤتيها هو معنى جمال الحق، هو أبدًا وراء ما لا ينتهي من جمال أوله في نفسه وآخره في الجمال الأقدس الذي مسح عَلَى هذه النفس الجميلة السامية فما دام فيه طهر الإسلام وشفافيته ورقة الذوق، فهو دائب يعلم ممزقًا حياته في سُبحات النور تمزيقًا يجتمع منه أدبه، ويجتمع منه شعره، وما شعره إلَّا صورة حياته» اهـ.

الأمانة في الولايات:

• تعد الأمانة في الولايات [١] من أكبر الأمانات التي تطوق صاحبها، ويسأل عنها أشد السؤال إن تعمد التفريط فيها، واستهان بها، قال رسول الله ﷺ محذرًا الولاة من الغش في القيام بواجب الرعية بقوله ﷺ: «**ما من عبدٍ يسترعِيهِ الله رعِيَّةً، يموتُ يومَ يموتُ وهو غَاشٌّ لرعيتهِ، إلَّا حَرَّمَ الله عليه الجنة**»[٢].

القويُّ الأمين كليم الرحمن موسى عليه السلام:

* وقد عُرف نبي الله موسى عليه السلام بالأمانة قبل أن ينبأ ويرسل إلى فرعون وقومه، حينما لجأ إلى مَدْيَن [٣] خوفًا من بطش فرعون وقومه، وسقيه للفتاتين، قال المولى عز وجل: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص].

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما في تأويل «القوي الأمين»: «قَوِيٌّ فيما وَلِيَ، أَمِينٌ فيما استودع»[٤]. والأمانة والقوة هما الركنان المقصودان في كل شيء

---

(١) مفهوم ولاية الأمر لا يقتصر على الولاية العامة أو الكبرى، بل يدخل في هذا المفهوم جميع العاملين في الدولة على مختلف مراتبهم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم (١٤٢) عن معقل بن يسار.

(٣) مَدْين: مدينة على البحر الأحمر، محاذيةً لتبوك.

(٤) «فتح الباري» (٤/ ٤٤٠).

مع أن اجتماعهما في الناس قليل [١].

وضرب لنا النبي ﷺ أروع الأمثلة في تولية الأمناء في الولايات، فكان يتفرس في الأشخاص القادرين، فيضعهم موضع الاختبار والتجربة، فالاختبار في الاختيار، ويتابعهم بملاحظاته، فمن وجده أهلًا أسند إليه أمانة الولاية والقيادة [٢]. وهذا ما فعله ﷺ مع معاذ بن جبل رضي الله عنه، لمَّا أراد أن يبعثه إلى اليمن، اختبر أمانته وعلمه وفطنته وقدراته في مواجهة الأمور، ذلك أن الولاية توجب المحافظة على حقوق الله تعالى، وحقوق العباد، وتتطلب خلقًا أمينًا راسخًا.

□ وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشعر مسؤولية أمانة الخلافة بالبحث عن الأمناء والنصحاء، فيقول: «أنا مسؤول عن أمانتي وما أنا فيه، ومطلع على ما بحضرتي بنفسي إن شاء الله، لا أَكِلُهُ إلى أحد، ولا أستطيع ما بعُدَ منه إلَّا بالأمناء وأهل النصح منكم للعامة، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله»[٣].

□ وكان زياد ابن أبيه إذا وَلَّى رجلًا عملًا أوصاه، مؤكدًا أن يكون من الأمناء بقوله: «خذ عَهْدَكَ، وسِر إلى عملك، .. واعلم أنك تصير إلى أربع خلال، فاختر لنفسك: إنَّا إنْ وَجدناك أمينًا ضعيفًا استبدلنا بك لضعفك، وسَلَّمَتْكَ من مَعَرَّتِنَا [٤] أَمَانَتُكَ، وإن وَجدناك قويًّا خائنًا، استهنا بقوتك،

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٥٤).

(٢) «الأخلاق الإسلامية وأسسها» (١/ ٦٦٠).

(٣) «تاريخ الطبري» (٤/ ٢١٥).

(٤) المعرّة: الأذى.. «لسان العرب» (١٣/ ١٤٠).

وأَحْسنَّا على خيانتك أدبك، فأوجعنا ظهرك، وأثقلنا غرمك، وإن جمعت علينا الجُرْمَين جمعنا عليك المضرَّتين، وإن وَجدناك أمينًا قويًا زدناك في عملك، ورفعنا ذكرك، وكثرنا مالك، وأَوْطَأنا عقبك»[(١)].

□ وصفات الأمناء صفات نسبية حسب الوظيفة التي تسند إلى المكلف واستعداداته الشخصية، ومن يجمع بين القوة والأمانة قليل في بني الإنسان، والقوي الذي لا يؤتمن والموثوق العاجز هم أكثر الناس، والذين فيهم شيء من القوة وشيء من الأمانة كثيرون[(٢)]، يقول ابن تيمية: «إذا كانت الحاجة في الولاية إلى الأمانة أشد، قُدِّم الأمين؛ مثل حفظ الأموال ونحوها، فأما استخراجها وحفظها، فلا بد فيه من قوة وأمانة، فَيُوَلَّى عليها شاهد قوي يستخرجها، وكاتب أمين يحفظها بخبرته وأمانته. وكذلك في إمارة الحرب، إذا أُمِرَ الأميرُ بمشاورة أهل العلم والدين جمع بين المصلحتين»[(٣)]، فلا بد من الموازنة بين الوظيفة المكلف بها والمصالح المترتبة عليها وبين صفات المتصف بها، فكلما كانت المصالح المترتبة على أمانة المكلف أَوْ ذِي الولاية ذات قيمة اجتماعية للمجتمع، كانت صفاته أكمل وأجمل.

□ ويرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أن من كان له نسب عال ومال وَفِير أبعد عن الخيانة وأقرب إلى الفقه والأمانة»[(٤)].

---

(١) «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ١١٨).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٥٤)، ومقال: في إشراقة آية للدكتور عبد الكريم بكّار، مجلة البيان، العدد ٧١، رجب ١٤١٤هـ (ص١٠-١١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٥٨).

(٤) «القضاة في عهد عمر بن الخطاب» للدكتور ناصر الطريفي (١/ ١٩٩).

□ وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري: «لا تستقضين إلَّا ذا مال وذا حسب، فإن ذا المال لا يرغب في أموال الناس، وإن ذا الحسب لا يخشى العواقب بين الناس»(١).

□ كما كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري، يستشيره في أقوام يستعين بهم على أمر الله تعالى. فكتب الحسن إليه: «عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة»(٢).

* وينبغي عدم ائتمان أهل الكتاب وإطلاعهم على مصالح المسلمين، فإنه «لمَّا استكتب أبو موسى الأشعري رضي الله عنه كاتبًا نصرانيًّا انتهره عمر رضي الله عنه وقرأ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة]، فقال أبو موسى: والله ما توليته وإنما كان يكتب، فقال: أما وجدت في أهل الإسلام من يكتب لا تدنهم إذ أقصاهم الله، ولا تأتمنهم إذ خونهم الله تعالى، ولا تعزهم بعد أن ذلهم الله تعالى»(٣)، على أنه ربمَا وجد من الكفار من يعامل المسلمين بالأمانة والصدق، كما أن «خُزَاعَة عَيْبَة(٤) نُصْح رسول الله ﷺ»(٥).

---

(١) «أخبار القضاة» لوكيع (١/ ٧٦-٧٧).
(٢) «إحياء علوم الدين» (١/ ٩١).
(٣) «فتح الباري» (١٣/ ١٨٤).
(٤) عيْبة نصح: أي موضع أمان ووفاء.
(٥) رواه البخاري (٢٧٣).

قوة الأمين:

* القوة هي أحد الركنيْن المقصوديْن في الولايات، قال تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص].

□ يقول عمر رضي الله عنه في خطبة له: «ألا وإني وجدتُ صلاحَ ما ولاني الله تعالى بأداء الأمانة، والأخذ بالقوة»[(١)]. واستشار عمر رضي الله عنه الصحابة فيمن يوليه، وقال: «ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم، أو رجل قوي مسدد؟ فقال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أما الضعيف المسلم فإنه إسلامه لنفسه وضعفه عليك، وأما القوي المسدد، فإن سداده لنفسه وقوته للمسلمين»[(٢)].

• ولا تعني القوة في الولاية عدم مراعاة الرفق[(٣)]، فإن الله سبحانه رفيق يحب الرفق، فمن تولى أمانات المسلمين فرفق بهم استحق دعاء النبي ﷺ: «**اللهم من وَلِيَ من أَمرِ أُمَّتِي شَيئًا فَشَقَّ عَلَيهم، فَاشْقُقْ عَلَيهِ، وَمَن وَلِيَ من أَمْرِ أُمَّتِي شَيئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**»[(٤)].

□ الولاية مسؤولية جسيمة، وأمانة ثقيلة لا يصحُّ أن تُسنَد إلَّا لمن كان أهلًا لها، قادِرًا أن يقوم بحقِّها، ويستوفي حقوقها، ففي الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ألا تَستَعمِلني؟ قال: فَضَرَبَ بِيَدِهِ ﷺ على

---

(١) «عيون الأخبار» (١/ ١١٧).

(٢) «الكامل في التاريخ» (٢/ ٤١٤).

(٣) الرِّفْق: «هو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف»-«فتح الباري» (١٠/ ٤٩٩).

(٤) رواه أحمد، ومسلم في كتاب «الإمارة»، باب فضيلة الإمام العادل (١٨٢٨).

مِنْكَبِي، ثُمَّ قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وإِنَّهَا يوم القِيَامَةِ خِزْيٌ ونَدَامةٌ، إِلَّا من أَخَذَها بحَقِّهَا، وأَدَّى الذي عليْهِ فيها»(١)، وفي رواية: «لا تَأَمَّرَنَّ على اثنَين، ولا تولَّيَنَّ مَالَ يَتيمٍ»(٢)، مع أن أبا ذر رضي الله عنه ليس بالرجل المتهم، لا في دين ولا في خلق، بل وصفه النبي ﷺ فقال: «ما أقلَّت الغبراء، ولا أظلّت الخضراء من رَجُلٍ أصدق لهجة من أبي ذر»(٣).

• وقال ﷺ: «ما أظلَّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر»(٤).

• وقال رسول الله ﷺ: «ما أظلّت الخضراء ولا أقَلَّت الغبراء، من ذي لهجة أصدق، ولا أوفى، من أبي ذر شبهُ عيسى ابن مريم»(٥).

فمنعه من الولاية التي هي واجب عظيم وتكليف ثقيل خشية عليه، ومراعاة لحاله.

□ يقول ابن تيمية مبينًا واجب الولاة في تولية أمور المسلمين من يكون أولى الناس بهذا التكليف الثقيل: «يجب على وَلِيِّ الأمر أن يُولي على

---

(١) رواه مسلم في كتاب «الإمارة»، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة (١٨٢٥).

(٢) رواه مسلم (١٨٢٦).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه في مقدمة «سنن ابن ماجه» رقم (١٥٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٦٨).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه والحاكم في «المستدرك» عن ابن عمرو، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٥٣٨)، و«تخريج المشكاة» (٦٢٢٩).

(٥) حسن: رواه الترمذي، وابن حبان، والحاكم عن أبي ذر، وحسَّنه الألباني في «تخريج المشكاة» (٦٢٣٠)، و«صحيح الجامع» (٥٥٣٨).

كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل»[١].

□ والصدق والأمانة وصفان متلازمان في شأن من يُوَلَّى الإمارة قال عمر رضي الله عنه: «أحبكم إلينا أحسنكم خلُقًا، فإذا اختبرناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانة»[٢].

□ قال القلقشندي: «إن مرتبة الحكم لا تُعطي إلَّا أهلها، والأقضية لا يُنْصَب لها إلَّا من هو كفؤٌ لها، ومَن هو مُتَّصَفٌ بصفات الأمانة والصيانة والعفّة والديانة، فمن هذه صفاته استحقَّ أن يُوَجَّه ويُستَخدم، ويترقى ويتقدّم»[٣].

• ومن الأمانة في اختيار الوُلاة ألا يُوَلَّى هذا الأمر من سأله، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: دخلتُ على النبي ﷺ أنا ورجُلان من قومي، فقال أحدُ الرَّجُلَيْن: أَمِّرْنا يا رسولَ الله، وقال الآخر مثله، فقال ﷺ: «**إنَّا لا نُولي هذا الأمرَ من سَأَلَه ولا من حَرَصَ عَلَيه**»[٤]؛ ولأن المرء إذا سأل شيئًا وُكِلَ إليه، وأصبحت المسألة عليه كبيرة، ويستثنى من ذلك إذا سأل المرء المنصب لأجل الإصلاح ولديه قدرة على إدارة الأمر الذي طلبه ليحقق النفع[٥]، وذكر الله عز وجل في كتابه عن نبيه يوسف عليه السلام مع عزيز

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٤٦).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٨٣).

(٣) «صبح الأعشى» (١٤/ ٣٤١).

(٤) رواه البخاري - كتاب «الأحكام»- باب ما يُكرَه من الحرص على الإمارة، (٧١٤٩)، ورواه مسلم في كتاب «الإمارة»، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها (١٧٣٣).

(٥) «قواعد الأحكام في إصلاح الأنام» للعز بن عبد السلام (٢/ ٣٤٦).

مصر حينما طلب الوزارة: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف].

□ قال ابن تيمية: «أداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل، هذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة»[(١)].

□ وقال ابن تيمية رحمه الله: «فيختار الأمثل فالأمثل في كل منصب بحسبه، وإذا فعل ذلك، بعد الاجتهاد التام، وأخذه للولاية بحقها، فقد أَدَّى الأمانةَ، وقام بالواجب في هذا»[(٢)].

□ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «قَلَّدَ رجلًا على عِصَابَة[(٣)]، وهو يجد في تلك العِصَابة من هو أرضى لله منه فقد خَانَ الله، وخَانَ رسولَهُ، وخَانَ المؤمنين»[(٤)]، إذ إن تولية غير الأهل أو غير الكفء خيانة ومشاركة في الإثم».

عمر بن الخطاب رضي الله عنه القوي الأمين.. يا خالق عمر سبحانك:

سبحان من سوّى هذه النفس السامقة البالغة في السمّو منتهاه.. بذكر عمر رضي الله عنه تطيب المجالس، أتعب مَن بعده من الولاة وأهل الأمانات، فما بينهم وبينه أبعدُ مما بين الثرى والثريا..

تركنا البحار الزاخرات وراءنا ... فمن أين يدري الناس أَنَّى توجَّهْنا

□ ولله در القائل عنه:

أنت تدري أيُّها الحيرانُ عنا ... كيف فوق الشمس أزمانًا حَلَلْنا

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٤٦).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٥٢).
(٣) العِصَابة: الجماعة من الناس- مختار الصحاح (ص٤٣٥).
(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦٧).

«بينا عثمان بن عفان رضي الله عنه في مالٍ له بالعالية في يومٍ صائف [١] إذ رأى رجُلًا يسوق بِكْرَيْن - من الإبل- وعلى الأرض مثل الفراش من الحر، فقال: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد، ثم يروح.

ثم دنا الرجل فقال لمولاه: انظر مَن هذا؟، فنظر فقال: أرى رجُلًا مُعْتَمًّا بردائه، يسوق بِكْرَيْن.

ثم دنا الرجل فقال: انظر، فنظر، فإذا عمر بن الخطّاب!!

فقال: هذا أمير المؤمنين.

فقام عثمان فأخرَج رأسه من الباب فإذا نَفْح السَّمُوم، فأعاد رأسه حتى حاذاه، فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟!!

فقال عمر: بكران مِنْ إبل الصدقة تخلَّفَا، وقد مُضِي بإبل الصدقة، فأردتُ أن أُلحقهما بالحِمَى وخشيت أن يضيعا، فيسألني الله عنهما.

فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، هَلُمَّ إلى الماء والظِّل، ونكفيك.

فقال: عُد إلى ظِلِّك يا عثمان!

فقال عثمان: مَن أحبَّ أن ينظر إلى القويِّ الأمين، فلينظر إلى هذا، فعاد إلينا فألقَى نفسه»[٢].

إني أخافُ أن أُسألُ عمَّا بك!!!

□ وعن سالم بن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يُدْخِل يده في دبر البعير، ويقول: «إني خائفٌ أن أُسأَل عَمَّا بك»[٣].

---

(١) صائف: أي حار.

(٢) «أسد الغابة» لابن الأثير (٤/ ١٦٠)، وسنده صحيح.

(٣) رجاله ثقات: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢١٧).

□ وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ قال: «رأيت عمر بن الخطاب ﷺ على قتب يعدو، فقلتُ: يا أمير المؤمنين أين تذهب؟ فقال: بعيرٌ نَدَّ[١] من إبل الصدقة أطلبه، فقلتُ: لقد أذللت الخلفاء من بعدك.

فقال: يا أبا الحسن لا تلمني، فوالذي بعث محمدًا بالنبوة لو أن عناقًا[٢] ذهبت بشاطئ الفرات لأُخذ بها عمر يوم القيامة»[٣].

قال عمر: لا تنظروا إلى صيام أحدٍ ولا صلاته، ولكن انظروا إلى صِدْق حديثه إذا حدَّث، وأمانته إذا ائتمِن، وورعه إذا أشفى»[٤]، [٥].

□ وانظر إلى موقف عمر بن الخطاب الذي تزدان الدنيا بأمانته أعباء الخلافة انظر إلى موقفه من الأحنف بن قيس لما قدم عليه في يوم صائف شديد الحر، وكان عمر ﷺ يرعى بعيرًا من إبل الصدقة، فقال له عمر: «يا أحنف ضع ثيابك، وَهَلُمَّ فَأَعِن أميرَ المؤمنين على هذا البعير، فإنه لمن إبل الصدقة، فيه حق لليتيم والمسكين والأرملة. فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين، فهلا تأمر عبدًا من عبيد الصدقة فيكفيك هذا؟ قال عمر: وأي عبدٍ هو أعبد مني ومن الأحنف، إنه من ولى أمر المسلمين، فهو عبدٌ من المسلمين، يجب عليه لهم مثل ما يجب على العبد لسيده من النصيحة، وأداء الأمانة».

---

(١) أي: هرب.

(٢) الماعز.

(٣) «مناقب عمر بن الخطاب» لابن الجوزي.

(٤) أشفى: أي أشرف على الدنيا وأقبلت عليه.

(٥) «الحلية» (٣/ ٢٧).

نعم أديت الأمانة أعظم أداء:

• عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أنا أول من أتى عمر حين طُعِنَ. فقال: احفظْ عنِّي ثلاثًا، فإنِّي أخافُ أنْ لا يدركني الناس، أما أنا فلم أقْضِ في الكَلالَةِ[1] قضاءً. ولم استخْلِفْ على الناس خليفةً. وكُلُّ مملُوكٍ له عتيقٌ. فقال له الناسُ: استخْلِفْ. فقال: أيُّ ذلك أفعلُ فقدْ فعلهُ من هو خيرٌ منِّي: أنْ أدعَ إلى الناس أمرهم فقد تركَهُ نبيُّ الله ﷺ، وأنْ أستَخْلِفَ فقد استخْلفَ منْ هو خيرٌ منِّي أبو بكرٍ، فقلتُ له أبْشِرْ بالجنَّةِ، صاحبْتَ رسول الله ﷺ فأطلْتَ صحْبتَهُ. ووُلِّيت أمر المؤمنين فقويتَ، وأدَّيت الأمانة. فقال: أما تبشيرك إيَّاي بالجنة، فوالله لو أنَّ لي – قال عفَّانُ: فلا والله الذي لا إله إلَّا هو – لوْ أنَّ لِيَ الدُّنيا بمَا فيها لافتديتُ به من هول ما أمامي قبل أنْ أعلم الخبر. وأما قولك في أمر المؤمنين، فوالله لوددتُ أنَّ ذلك كفافًا لا لي ولا عليَّ، وأمَّا ما ذكرت من صحبة نبيِّ الله ﷺ فذلك»[2].

□ وقال عمر رضي الله عنه: «والله ما أحدٌ أَحقُّ بهذا المال من أحد، وما أنا أحقُّ به من أحد، ووالله ما من المسلمين أحدٌ إلَّا وله في هذا المال نصيب، إلَّا عبدًا مملوكًا، ولكِنَّا على منازلنا من كتاب الله عز وجل، وقسمنا من رسول الله ﷺ، فالرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقِدمُه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإسلام، والرجل وحاجته، ووالله لئن بقيت لهم ليأتين الراعي

---

(١) **الكلالة**: أن يموت الرجل وليس له والد أو ولد يرثه، بل يرثه ذو قرابته.

(٢) إسناده صحيح: رواه أحمد (١/ ٤٧) وقال الشيخ أحمد شاكر (١/ ٢٩٥): «إسناده صحيح. وأصل الحديث في البخاري».

بجبل صنعاء من هذا المال وهو يرعى مكانه»[١].

عثمان ذو النورين ﷺ يُوصي عمال الخراج بالحق، والأمانة والوفاء:

□ «كان أول كتاب كتبه عثمان بن عفان ﷺ إلى عُمَّالِ الخراج قال فيه: «أمَّا بعد، فإن الله خلق الخلْق بالحق، فلا يقبل إلَّا الحق، خذوا الحقَّ، وأعطوا الحق به، والأمانة الأمانة، قوموا عليها، ولا تكونوا أول من يسلبها، فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم، والوفاء الوفاء، لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد، فإن الله خصم لمن ظلمهم»[٢].

أشجّ بني أمية عمر بن عبد العزيز الخليفة الأمين:

□ رحم الله هذا الإمام الخليفة الراشد قسطاس الموازين.. كان رحمه الله إمام هدى وسراجًا نشر نور العدل في كل مكان من أركان دولته، وقام بأمانة الخلافة أجمل قيام، قالت زوجته فاطمة بنت عبد الملك: «دخلتُ عليه وهو في مصلاه ودموعهِ تجري على لحيته، فقلت: أحَدَثَ شيء؟ فقال: إني تقلدتُ أَمْرَ أُمَّة محمد ﷺ، فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والغازي، والمظلوم المقهور، والغريب الأسير، والشيخ الكبير، وذي العيال، والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ إلى الله تعالى، فخشيت أن لا تثبت حُجَّتي عند الخصومة، فرحمت نفسي فبكيت»[٣].

---

(١) «تاريخ الطبري» (٤/ ٢١١).

(٢) «تاريخ الطبري» (٤/ ٢٤٥).

(٣) «الكامل في التاريخ» (٤/ ١١٩) لابن الأثير.

□ وعن أبي شعيب عبد الله بن مسلم يحدث عن أبيه، قال: «دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده كاتب يكتُب، قال: وشمعةٌ تُزهِر، وهو ينظر في أمور المسلمين، قال: فخرج الرَّجُل وأطفئت الشمعة، وجيء بسراج إلى عمر، فدنوت منه، فرأيت عليه قميصًا فيه رقعة، قد طبَّق ما بين كتفيه، قال: فنظر في أمري»[(١)].

□ و«كانت لفاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر جارية، فبعثت بها إليه، وقالت: إني قد كنت أعلم أنها تعجبك، وقد وهبتها لك، فتناول منها حاجتك، فقال لها عمر: اجلسي يا جارية، فوالله ما شيء من الدنيا كان أعجبُ إليّ أن أناله منك، فأخبريني بقصتك، وما كان من سَبْيك، قالت: كنتُ جاريةً من البربر، جنى أبي جناية، فهرب من موسى بن نصير عامل عبدالملك على إفريقية، فأخذني موسى بن نُصَير فبعث بي إلى عبد الملك، فوهبني عبد الملك لفاطمة، فأرسلتْ بي إليك، فقال: كِدْنا والله أن نفتضح، فجهّزها وأرسل بها إلى أهلها»[(٢)].

□ انظر إلى قدوة الحُكّام والمصلحين والمجددين عمر بن عبد العزيز حين يستشعر واجب الأمانة فيأتي بالدرر والأعاجيب: يمنح العطايا، يُسَدِّد ديون رعيّته، يزوِّج الشباب، بل ويُقرض أهل الذمة الضعفاء ويساعدهم.

□ ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام: «كتب عمر بن العزيز إلى عبدالحميد

---

(١) «الحلية» (٥/ ٣٢٣).

(٢) «الحلية» (٥/ ٢٦٠-٢٦١).

ابن عبد الرحمن – وهو بالعراق- أن أخرج للناس أعطياتهم، فكتب إليه عبد الحميد: إني قد أخرجت للناس أعطياتهم، وقد بقي في بيت المال مال، فكتب إليه: أن انظر كل من أدان [١] في غير سفه ولا سرف فاقض عنه، فكتب إليه، إني قد قضيت عنهم، وبقي في بيت مال المسلمين مال، فكتب إليه: أن انظر كل بكرٍ ليس لَهُ مالٌ فشاء أن تزوجه فزوجه وأصدق عنه[٢]، فكتب إليه: إني قد زوجت كل من وجدت، وبقي في بيت مال المسلمين مال، فكتب إليه بعد مخرج هذا: أن انظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه فأسلفه ما يقوي به على عمل أرضه، فإنَّا لا نريدهم لعام ولا لعامين»[٣].

الأمانة في تحمل المسؤولية تجاه المجتمع وأفراده:

أمانة اتقان الأعمال والمهام المتعلّقة بالمجتمع ومصلحة الأمّة:

• قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحبُّ إذا عَمِل أحدكم عملًا أن يتقنه»[٤].

نبي الله موسى الكليم عليه السلام وأمانة أداء الواجب:

* قد ضرب لنا نبي الله موسى عليه السلام المثل الرائع في أمانة أداء الواجب

---

(١) هو بمعنى استدان.

(٢) أي: ادفع له الصداق وهو المهر.

(٣) «كتاب الأموال» لأبي عبيد (ص٢٦٥).

(٤) حسن: أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٧/ ٣٤٩)، والطبراني في «الأوسط» (١/ ٢٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٣٣٤-٣٣٥) عن عائشة رضي الله عنها، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٩٨)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ١٤٤) رقم (١٨٧٦)، و«الصحيحة» (١١١٣).

المبرم مع أبي المرأتين اللتين سقى لهما، وهو أجرته في رعي ماشيته ثماني حجج تزويجه ابنته، كما قص المولى ﷻ في كتابه: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨﴾ [القصص]، فأتم موسى عليه السلام أداء واجبه على النحو الأتم والأكمل(١).

فأداء الواجبات على النحو المطلوب يجعل مراقبة المولى ﷻ هي الأساس المتين، ومن ثم تظهر قوة الإرادة المبنية على السمو في النفس والروح.

وما أعظم أمانة نبي الله يوسف عليه السلام:

* هذا الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إبراهيم عليه السلام يقوم بتحمُّل مسؤولية خزينة ملك مصر الأكبر، يؤديها بأمانة وإخلاص، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾ [يوسف]، فلم يكن نبي الله يوسف يطلب المنصب لشخصه، إنما قام بتحمُّلِ مسؤولية وواجب ثقيل في نجاة شعب كامل من مجاعة كبرى(٢).

□ وكان عليه السلام لا يشبع وهو على خزائن الأرض ولمَّا سُئل عن ذلك قال: «أخاف أن أشبع فأنسى الجياع».

---

(١) «تفسير الطبري» (١٥/ ٥٦٨).

(٢) انظر: «الأمانة في الإسلام» (ص٢٥٥).

الفاروق وأمين الأمّة وأمانة تحمل المسؤولية خدمة للأمة:

□ لما ولي أبو بكر ﷺ الخلافة، قال لعمر ولأبي عبيدة ﷺ: «إني لا بُدَّ لي من أعوان، فتقدم عمر ﷺ وقال:أنا أكفيك القضاء، وقال أبو عبيدة ﷺ: أنا أكفيك بيت المال [(١)]، وقد قاما بأداء واجباتها الوظيفية ومسؤوليتهما بإخلاص وإتقان».

زيد بن ثابت ﷺ وأمانة تبادل المراسلات السياسية:

□ لله در زيد بن ثابت وما أعظم أمانته ﷺ وتحمُّلَه مسؤولية عظيمة، وهي تبادل المراسلات السياسية للنبي ﷺ ما يسمى حديثًا «بالدبلوماسية»، وذلك حينما أمره النبي ﷺ بأن يتعلم السريانية: «**يا زيد تعلم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي..**»[(٢)]، فقام زيد ﷺ بتحمل مسؤولية تعلم كتابهم في خمس عشرة ليلة حتى حذقه، وكان يقرأ كتبهم إذا كتبوا إليه، ويجيب عنه إذا كتب بأمانة وإتقان، فهو بهذا قد أدى الوظيفة المناطة بهِ على خير وجه.

وأغلى أمانة: «جَمْع القرآن الكريم» قام بهذا زيد بن ثابت الأمين ﷺ:

□ عن زيد بن ثابتٍ قال: «بعث إليَّ أبو بكرٍ لمقتل أهل اليمامة، وعنده عمر. فقال أبو بكرٍ: إنَّ عمر أتاني، فقال: إنَّ القتْل استحَرَّ [(٣)] يوم اليمامةِ بقُرَّاءِ القرآنِ، وإنِّي أخشى أن يسْتحِرَّ القتْلُ بقرَّاءِ القرآنِ في المواطنِ كُلِّها

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٤٢٦).

(٢) صحيح: رواه أحمد في «المسند» (٥/ ١٨٦)، ورواه أبو داود في كتاب العلم – باب رواية حديث أهل الكتاب رقم (٣٦٤٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٤٠٨).

(٣) استحَرَّ: اشتد وحمي.

فيذْهب قرآنٌ كثيرٌ، وإنِّي أرَى أن تأمرَ بجمع القرآن. قلتُ: كيف أفعلُ شيئًا لَمْ يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خيرٌ. فلم يزل عمر يراجعُني في ذلك حتَّى شرح الله صدري للذي شرحَ له صدْرَ عمر، ورأيتُ في ذلك الذي رأى عمرُ. قال زيدٌ: قال أبو بكرٍ: وإنك رجلٌ شابٌّ عاقلٌ لا نَتَّهِمُكَ، قد كنت تكتب الوحي لرسولِ الله ﷺ فتتبَّع القرآن فاجمعه. قال زيدٌ: فوالله لو كلَّفَني نقل جبلٍ من الجبال ما كان بأثقل عليَّ ممَّا كلَّفني من جمع القرآن. قلتُ: كيف تفعلانِ شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال أبو بكرٍ: هو – والله- خيرٌ، فلم يزل يحُثُّ مراجعتي حتَّى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدْر أبي بكرٍ وعمر، ورأيتُ في ذلك رأيًا. فتتبَّعْتُ القرآن أجمعه من العُسُبِ (١) والرِّقاع واللِّخَافِ (٢) وصدور الرِّجال فوجدتُ آخر سورة التَّوْبة ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ إلى آخرها مع خزيمة – أو أبي خزيمة- فألحقتها في سورتها. وكانت الصحف عند أبي بكرٍ حياته حتى توفَّاهُ الله ﷻ ثم عند عمر حياته حتى توفَّاهُ اللهُ، ثمَّ عند حفْصَة بنتِ عمر»(٣).

□ قال محمد بن عبيد الله: «اللِّخَافُ: يعني الخزفَ».

وأمانة عجيبة لميمون بن مهران:

□ قال رحمه الله: «لولا أنا على حمر كراء، لسلَّمنا على آل فلان، وعلى آل

---

(١) العسب: جريد النخل.

(٢) اللخاف: حجر رقيق محدّد.

(٣) رواه البخاري (٧١٩١).

الشام !!!»[١].

ومن أسرار الأمانة:

□ قال مالك بن دينار: «كفى بالمرء خيانةً أن يكون أمينًا للخونة»[٢].

□ وقال الأعمش: «أعظم الخيانة: أداء الأمانة إلى الخائنين»[٣].

□ وقال: «نقض العهد وفاءُ العهد لمن ليس له عهد»[٤].

□ وقال يحيى بن أبي كثير: «لا يعجبك حلم امرئ حتى يغضب، ولا أمانته حتى يطمع، فإنك لا تدري على أيّ شقَّيه يقع»[٥].

أمانة الأغنياء تجاه مجتمعهم أعلى قمة سامية لها فِعْل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

□ قال طلحة بن عبد الله بن عوف: «كان أهل المدينة عيالًا على عبدالرحمن بن عوف، ثلثٌ يقرضهم، وثلث يقضى دَيْنهم، ويصلُ ثُلُثًا»[٦].

وقد أعتق رضي الله عنه ثلاثين ألف بيت!![٧].

---

(١) «الحلية» (٤/ ٨٧).
(٢) «الحلية» (٢/ ٣٧٣).
(٣) «الحلية» (٥/ ٤٨).
(٤) «الحلية» (٥/ ٤٨).
(٥) «الحلية» (٣/ ٦٩).
(٦) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٨٨).
(٧) المصدر السابق (١/ ٩٢).

الأمانة في العلم: الحفظ، والأداء، والتأليف، والنشر:

أمانة حفظ العلم والسُّنَّة:

قيّض الله تعالى علماء قاموا بحفظ السُّنَّة والعلم وضبطها ورعايتها من شرِّ أهل البدع والأهواء، و«لولا أهل الحديث أصحاب المحابر لخطبَتِ الزنادقة على المنابر»، و«الملائكة حراس السماء، وأهل الحديث حُرّاس الأرض»، و«لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء» يا لها من عبارات جميلة تدل على أمانة الأمة السامقة تجاه هدي نبيها ﷺ:

وقد نبَّه ابن تيمية على أمانة العلماء في حفظ العلم وأدائه للأمة، بقوله: «فالمرصدون للعلم، عليهم حفظ علم الدِّين، وتبليغه، فإذا لم يبلغوا - الأمة- علم الدِّين، أَوْ ضيعوا حفظه، كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين، ولهذا قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة]»[1].

□ وقد أبدع علماء السلف في الحديث عن أهمية رعاية الأمانة في أداء العلم وحاجة العباد إلى العلماء الأمناء، ومن ذلك ما ذكره ابن القيم أن: «حاجة العباد إلى العلم ضرورية فوق حاجة الجسم إلى الغذاء؛ لأن الجسم يحتاج إلى الغذاء في اليوم مرة أو مرتين، وحاجة الإنسان إلى العلم بعدد الأنفاس؛ لأن كل نفس من أنفاسه فهو محتاج فيه إلى أن يكون صاحبًا لإيمان أو حكمه، فإن فارقه الإيمان أو حكمه في نفس من أنفاسه، فقد عطب وقرب هلاكه وليس إلى حصول ذلك سبيل إلَّا بالعلم، فالحاجة

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٨٧).

إليه فوق الحاجة إلى الطعام والشراب»[(١)].

وخصّ الله هذه الأمّة بالإسناد دون غيرها من الأمم، لحرص الأمة على نقل الحديث عن رسولها ﷺ وإنه لعلم عجيب عجيب..

أمانة الأداء:

* تضافرت النصوص الشرعية المتعددة في أهمية أمانة الأداء، منها: قول المولى ﷻ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة: ٦٧].

* وقوله: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨].

• وعني النبي ﷺ بتأدية العلم وتبليغه بقوله: «**بلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آية..**»[(٢)].

• وقوله ﷺ: «**تَسمعُون، ويُسْمَعُ منكم، ويُسْمَعُ ممن يَسْمَعُ مِنكُم**»[(٣)].

• وضرب النبي ﷺ في تأدية أمانة العلم والهدى مثلًا بالغيث النافع في الأرض الطيبة[(٤)]، بِقَوْلِهِ ﷺ: «**مَثَل مَا بَعَثَنِي الله من الهُدَى والعِلم كَمَثَل الغيثِ الكثيرِ أَصَابَ أرضًا، فكانَ منها نَقِيَّةٌ قَبلت الماءَ فَأَنبَتَ الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانت منها أجادبُ أَمْسَكَتِ الماءَ فَنَفَعَ الله بها الناسَ فَشَربُوا وسَقَوا وزَرَعُوا، وأصابَ منها طائفةٌ أخرى، إِنَّما هي قِيعانٌ لا**

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٨١).

(٢) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء – باب ما ذُكِر عن بني إسرائيل (٣٤٦١).

(٣) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود – كتاب العلم- باب فضل نشر العلم (٣٦٥٩)، والحاكم عن ابن عباس، ورواه ابن حبان، والبزار عن ثابت بن قيس، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٨٤)، و«صحيح الجامع» (٢٩٤٧)، و«صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٤١١).

(٤) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٦٠-٦١).

تُمسكُ ماءً ولا تُنبِتُ كلأً، فَذلكَ مَثَلُ مَن فَقِهَ في دينِ الله ونَفَعَهُ ما بَعَثَني الله به فَعَلِمَ وعَلَّم، ومَثَلُ من لم يَرفَعْ بذلك رأسًا ولم يقبلْ هُدَى الله الَّذِي أُرسِلتُ بِهِ»[(١)].

□ قال القرطبي: «شَبَّه -النبي ﷺ- السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلم، فهو بمنزلة الأرض الطيبة؛ شَرِبَت فانتفعت في نفسها، وأنبتت فنفعت غيرها، ومنهم الجامع للعلم، المستغرق لزمانه فيه؛ غير أنه لم يعمل بنوافله، أو لم يتفقه فيما جمع، لكنه أداه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء، فينتفع الناس به، وهو المشار إليه بقوله ﷺ: «**نَضَّرَ الله امرءً سَمِعَ مَقَالَتي فَأَدَّاها كما سمعها**»[(٢)]، ومنهم من يسمع العلم، فلا يحفظه، ولا يعمل به، ولا ينقله لغيره»[(٣)].

□ قال الخطيب البغدادي عن أصحاب الحديث الذين حملوا أمانة حفظ حديث النبي ﷺ وأمانة أدائه لله درهم: «حَفَظَةُ الدِّين وخزنته، وأوعية العلم وحملته، ومنهم كل عالم فقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن»[(٤)].

□ ومن أمانة الأداء عدم كتم العلم، وصيانة العلم عن التحريف.

---

(١) رواه البخاري - واللفظ له- في كتاب العلم - باب فضل من عَلِمَ وعَلَّم (٧٩)، ورواه مسلم في كتاب الفضائل- باب بيان ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم رقم الحديث (٢٢٨٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) نقله ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ١٧٧).

(٤) «شرف أصحاب الحديث» (ص٢٨).

بلغ من أمانة أهل العلم وحرصهم على صيانة العلم من التحريف قول: لا أدري، حينما يُسأل عن أمر لا يعلمه، ويقولها في شجاعة أدبية وأمانة علمية، والمتأمل لسير العلماء يجدهم في كثير من المسائل التي يجهلونها يقولون: لا ندري، قال مالك بن أنس: «ينبغي للعالم أن يألف فيما أشكل عليه قول: لا أدري»[(١)].

□ ومما روي عن مالك: «أنه جاءه رجل، فقال: يا أبا عبد الله جئتك من مسيرة ستة أشهر حَمَّلني أهل بلدي مسألة أسألك عنها، قال: فَسَلْ، فسأله الرجل عن المسألة، فقال: لا أحسنها، فبهت الرجل – كأنه قد جاء إلى من يعلم كل شيء – فقال: أي شيء أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم، قال: تقول لهم: قال مَالِكٌ: لا أُحسن»[(٢)].

أمانة التأليف:

لا تُعرف أمة في تاريخ الإنسانية بلغت ما بلغته الأمة الإسلامية من الدقة والأمانة والإخلاص والصدق، تجاه ما ألف من تراثها وحفظه وصيانته وتبليغه للناس.

□ والتأليف كما قال العلماء: «لا يخرج عن سبعة أقسام، لا يؤلف عالم عاقل إلَّا فيها «إما شيءٌ لم يُسبق إليه فيخترعه، أو شيءٌ ناقصٌ يتمِّمُهُ، أو شيءٌ مغلق يشرحه، أو شيءٌ طويلٌ يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيءٌ متفرقٌ يجمعه، أو شيءٌ مختلطٌ يرتبه، أو شيءٌ أخطأ فيه مصنِّفُهُ

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢/ ٢٧٣).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٥٣)، و«إحياء علوم الدين» (١/ ٣٩).

فيُصلحهُ»[١].

والأمانة شرط في جميعها، إذ ينبغي رعاية أمانة التأليف المكتوبة المتداولة بين الناس في أي علم من العلوم الدينية أو الدنيوية النافعة.

ومن أمانة التأليف: الدقَّة في نقل الأقوال، ونسبتها إلى أصحابها، فإن «من بركة العلم أن تضيف الشيء إلى قائله»[٢].

«والمتأمل لكتب المتقدمين أمثال: كتاب «الفهرست» لابن النديم، وكتاب «المخصص» لابن سِيْدَه، و«تهذيب التهذيب»، و«الدرر الكامنة» لابن حجر وغيرهم، يجد اهتمامهم بالدقة العلمية وأمانة التأليف، وإسناد الشيء إلى صاحبه كما هو»[٣].

وأخيرًا أمانة النشر:

فمن أمانة النشر نشْر الكتب باستئذان مؤلِّفيها، وألا يلحق شططًا بالمشترين فيكون سببًا في منع العلم وانتشاره وتحمّله، وليتق الناشر ربه في نشر النافع من العلوم خدمة للأمة ونشرًا للعلم النافع.. وليتق الله ألا ينشر الغثاء المدمر للأمة وشبابها.

وقد زخرت دُور النشر في منتصف القرن الرابع عشر الهجري بناشرين علماء أمثال: محب الدين الخطيب، ومحمد حسام الدين القدسي، ومحمد منير الدمشقي، وغيرهم ممن حظوا بكل احترام وسمعة طيبة نتيجة لمصداقيتهم وتحريهم الأمانة في النشر.

---

(١) «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة (١/ ٣٥).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٨٩).

(٣) «الأمانة في الإسلام» (ص٢٢٧-٢٢٨).

أمانة الشهادة لهذا الدين:

□ يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي: «إن الإسلام اليوم في حاجة شديدة لأن نشهد له شهادة عملية كما شهدنا له من قبل شهادة قولية.

فما أجمل أن يتحوّل الإسلام إلى واقعٍ تراه الأعين في صورة أشخاص يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، يراهم الناس فيرَوْن الإسلام بكل ما جاء به من عقائد وشرائع ومعاملات وأخلاقيّات، ولذا فقد كان رسول الله ﷺ هدفه الأول أن يصنع رجالًا وأن يربي قلوبهم، فكان الواحد منهم قُرآنًا يمشي بين الناس في دنيا الناس.

□ يقول الأستاذ سيد قطب: «ولقد انتصر محمد بن عبد الله ﷺ يوم أن صاغ من فكرة الإسلام شخوصًا وحوّل إيمانهم بالإسلام عملًا، وطبع من المصحف عشرات النسخ ثم مئاتٍ وألوفًا، ولكنه لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق، وإنما طبعها بالنور على صحائف القلوب وأطلقها تُعامل الناس وتأخذ منهم وتُعطي وتقول بالفعل ما هو الإسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ من عند الله جلّ وعلا.

ومن هذا المنطلق فإن المسلم مطالبٌ بأمانة عظيمة تجاه هذا الدين ألا وهي أن، يتخلَّق بخلُق الإسلام ومعاملاته، وأن يعتقد أنه هو وحده الذي يجب أن يحمل همّ الإسلام على عاتقه.. فلو ظنَّ كل مسلم أنه هو الذي يحمل همّ الإسلام على عاتقه لما رأينا مقصِّرًا ولا رأينا متخاذلًا عن تلك الأمانة، فهو يُراقب الله جل وعلا، ويعلم أن هذا هو الدين الذي ارتضاه الله للبشرية، ويشعر بالشهادة للدين أنه ينصر الحق جل وعلا [1].

---

(١) «الأمانة في الإسلام» (ص٢٣٠).

لله درُّ أمين الأمة أبو عبيدة بن الجرّاح:

□ عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأهل نجْران: «لأبعثنَّ إليكم رجلًا أمينًا حقَّ أمين. فاستشرف لها أصحاب النبي ﷺ فبعث أبا عبيدة»(١).

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكلِّ أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة**»(٢).

• عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ أُمَّةٍ أمينٌ، وأمين أمتي أبو عبيدة بن الجرّاح**»(٣).

□ وعن أبي رافعٍ: «أنَّ عُمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مستندًا إلى ابن عباسٍ رضي الله عنهما وعنده ابن عمر، وسعيد بن زيدٍ، فقال: اعلموا أنِّي لم أقل في الكلالةِ شيئًا، ولم أستخلِفْ من بعدي أحدًا وأنَّ منْ أدرك وفاتي منْ سَبْي العرب، فهو حرٌّ من مال الله عز وجل فقال سعيد بن زيدٍ: أما أنك لو أشرْتَ برجُلٍ من المسلمينَ لائْتَمنك الناس. فعل ذلك أبو بكرٍ وأتمنَهُ الناسُ، فقال عمر: قدْ رأيتُ من أصحابي حرْصًا سيِّئًا، وإني جاعلٌ هذا الأمر إلى هؤلاء النَّفَرِ السِّتَّةِ الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. ثمَّ قال عمر: لو أدركني أحد رجلين، ثمَّ جعلتُ هذا الأمر إليه لوثقتُ به: سالمٌ موالى أبي حذيفةَ، وأبو عبيدةَ بن الجرَّاحِ»(٤).

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٧٢٥٤)، ومسلم (٢٤٢٠).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٢٨٢٢، ٢٨٢٣) وقال: هذا حديث حسن، ورواه أبو داود (٥١٢٨)، وهو حديث حسن.

(٣) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي.

(٤) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٠) وقال الشيخ أحمد شاكر (١/ ٢١٢): =

أمنية عُمَرية:

□ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يومًا لمن حوله: «تمنُّوا، فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبًا فأنفقه في سبيل الله وأتصدَّق، ثم قال عمر: تمنَّوْا، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين، قال عمر: أتمنّى لو أنها مملوءة رجالًا مثل أبي عبيدة بن الجرّاح ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وحذيفة بن اليمان»[1].

وعند أبي نعيم في «الحلية».

□ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لأصحابه تمنَّوْا، فقال رجل أتمنَّى لو أن لي هذه الدار، مملوءة ذهبًا، أنفقه في سبيل الله، ثم قال: تمنَّوْا، فقال رجل: أتمنّى لو أنها مملوءة لؤلؤًا وزبرجدًا وجوهرًا أنفقه في سبيل الله، وأتصدَّق؛ ثم قال: تمنَّوْا، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين، فقال عمر: أتمنَّى لو أن هذه الدار مملوءة رجالًا، مثل أبي عبيدة بن الجراح»[2].

«إسناده صحيح».

(١) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٢٦) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) «الحلية» (١/ ١٠٢).

والمسجد الأقصى والقدس وفلسطين أمانة فمن ضيَّعها:

مَرْثِيَةُ حُلْمٍ (١)

دَعْنِي وَجُرْحِي فَقَدْ خَابَتْ أَمَانِينَا ... هَلْ مِنْ زَمَانٍ يُعِيدُ النَّبْضَ يُحْيِينَا

يَا سَاقِيَ الْحُزْنِ لَا تَعْجَبْ فَفِي وَطَنِي ... نَهْرٌ مِنَ الْحُزْنِ يَجْرِي فِي رَوَابِينَا

كَمْ مِنْ زَمَانٍ كَئِيبِ الْوَجْهِ فَرَّقَنَا ... وَالْيَوْمَ عُدْنَا وَنَفْسُ الْجُرْحِ يُدْمِينَا

جُرْحِي عَمِيقٌ خُدِعْنَا فِي الْمُدَاوِينَا ... لَا الْجُرْحُ يُشْفَى وَلَا الشَّكْوَى تُعَزِّينَا

كَانَ الدَّوَاءُ سُمُومًا فِي ضَمَائِرِنَا ... فَكَيْفَ جِئْنَا بِدَاءٍ كَيْ يُدَاوِينَا

هَلْ مِنْ طَبِيبٍ يُدَاوِي جُرْحَ أُمَّتِهِ ... هَلْ مِنْ إِمَامٍ لِدَرْبِ الْحَقِّ يَهْدِينَا

كَانَ الْحَنِينُ إِلَى الْمَاضِي يُؤَرِّقُنَا ... وَالْيَوْمَ نَبْكِي عَلَى الْمَاضِي وَيُبْكِينَا

مَنْ يُرْجِعُ الْعُمْرَ مِنْكُمْ مَنْ يُبَادِلُنِي ... يَوْمًا بِعُمْرِي وَنَحْيِي طَيْفَ مَاضِينَا

إِنَّا نَمُوتُ فَمَنْ بِالْحَقِّ يَبْعَثُنَا ... لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ سِوَى صَمْتٍ يُوَاسِينَا

صِرْنَا عَرَايَا أَمَامَ النَّاسِ يُفْزِعُنَا ... لَيْلٌ تَخَفَّى طَوِيلًا فِي مَآقِينَا

صِرْنَا عَرَايَا وَكُلُّ الأَرْضِ قَدْ شَهِدَتْ ... أَنَّا قَطَعْنَا بِأَيْدِينَا أَيَادِينَا

يَوْمًا بَنَيْنَا قُصُورَ الْمَجْدِ شَامِخَةً ... وَالآنَ نَسْأَلُ عَنْ حُلْمٍ يُوَارِينَا

---

(١) ديوان «طاوعني قلبي في النسيان»، شعر: فاروق جويدة، ط١، مكتبة غريب (ص٥١-٧٦).

أَيْـنَ الإمَـامُ رَسُـولُ الله يَجْمَعُنَـا ... فَالْيَأْسُ وَالْحُـزْنُ كَالْبُرْكَـانِ يُلْقِينَـا

دِينٌ مِنَ النُّـورِ بَـيْنَ الخَلْـقِ جَمَّعَنَـا ... وَدِيـنُ طَـهَ وَرَبِّ النَّـاسِ يُغْنِينَـا

يا جَامِعَ النَّاسِ حَوْلَ الحَقِّ قَدْ وَهِنَتْ ... فِينَـا الْمُـرُوءَةُ أَعْيَتْنَـا مَآسِـينَا

يَبْرُوتُ فِي الْيَمِّ مَاتَتْ قُدْسُنَا ذُبِحَتْ ... وَنَحْنُ فِي الْعَارِ نَسْقِي وَحْلَنَا طِينَا

بَغْـدَادُ تَبْكِـي وَطَهْـرَانٌ يُحَاصِرُهَـا ... بَحْرٌ مِـنَ الـدَّمِ بَـاتَ الآنَ يَـسْقِينَا

هَـذِي دِمَانَـا رَسُـولَ الله تُغْرِقُنَـا ... هَلْ مِنْ زَمَانٍ بِنُـورِ الْعَـدْلِ يَحْمِينَـا

أَيُّ الـدِّمَاءِ شَـهِيدٌ كُلُّهَـا حَمَلَـتْ ... فِي اللَّيْلِ يَوْمًا سِـهَامَ الْقَهْـرِ تُرْدِينَـا

الْقُدْسُ فِي الْقَيْدِ تَبْكِي مِنْ فَوَارِسِهَا ... دَمْـعُ المَنَـابِرِ يَـشْكُو لِلْمُـصَلِّينَا

أَقْزَامُنَـا ضَـيَّعُونَا حِيـنَمَا فَـسَقُوا ... بَـاعُوا المَـآذِنَ وَالْقُـرْآنَ وَالـدِّينَا

أقزامنـا أَشْـعَلُوا النِّـيرَانَ فِي غَـدِنَا ... وَمَزَّقُوا الـصُّبْحَ فِي أَحْـشَاءِ وَادِينَـا

مَا لِي أَرَى الخَوْفَ فِينَـا سَـاكِنًا أَبَـدًا ... مِمَّـنْ نَخَـافُ أَلَمْ نَعْـرِفْ أَعَادِينَـا؟

أقزامنا مَنْ أَضَاعُوا السَّيْفَ مِنْ يَدِنَا ... وَأَوْدَعُونَـا سـجُونَ اللَّيْـلِ تَطْوِينَـا

أقزامنا مَـنْ تَـوَارَى صَـوْتُهُمْ فَزَعًـا ... وَالأَرْضُ تُـسْبَى وَبَـيْرُوتٌ تُنَادِينَـا

أقزامنـا أَوْهَمُونَـا آهِ كَـمْ زَعَمُـوا ... وَكَمْ خُدِعْنَا بوَعْـدٍ عَـاشَ يُـشْقِينَا

قَـدْ خَـدَّرُونَا بِـصُبْحٍ كَـاذِبٍ زَمَنًـا ... فَكَيْـفَ نَأْمُـلُ فِي يَـأْسٍ يُمَنِّينَـا

أَيُّ الحَكَايَـا سَـتُرْوَى عَارُنَـا جَلَـلٌ ... نَحْنُ الهَـوَانُ وَذُلُّ الْقُـدْسِ يَكْفِينَـا

مَنْ بَاعَنَـا خَـبِّرُونِي كُلُّهُـمْ صَـمَتُوا ... وَالأَرْضُ صَارَتْ مَـزَادًا لِلْمُرَابِينَـا

هَـلْ مِـنْ زَمَـانٍ نَقِـيٍّ فِي ضَـمَائِرِنَا ... يُحْيِي الـشُّمُوخَ الَّـذِي وَلَّى فَيُحْيِينَـا

يَا سَاقِيَ الْحُـزْنِ دَعْنِي إِنَّنِي ثَمِلٌ ... إِنَّـا شَرِبْنَـاهُ قَهْـرًا مَـا بِأَيْـدِينَا

عُمْرِي شُمُوعٌ عَلَى دَرْبِ الْمُنَى احْتَرَقَتْ ... وَالْعُمْرُ ذَابَ وَصَارَ الْحُلْـمُ سِكِّينَا

كَمْ مِنْ ظَـلَامٍ ثَقِيـلٍ عَـاشَ يُغْرِقُنَـا ... حَتَّـى انْتَفَـضْنَا فَمَزَّقْنَـا دَيَاجِينَـا

الْعُمْرُ فِي الْحُلْمِ أَوْدَعْنَـاهُ مِـنْ زَمَـنٍ ... وَالْحُلْـمُ ضَـاعَ وَلَا شَيْءٌ يُعَزِّينَـا

كُنَّـا نَـرَى الْحَـقَّ نُـورًا فِي بَـصَائِرِنَا ... وَالآنَ لِلزَّيْـفِ حِـصْنٌ فِي مَآقِينَـا

كُنَّـا إِذَا مَـا تَـوَارَى الْحُلْـمُ عَانَقَنَـا ... حُلْـمٌ جَدِيـدٌ يُغَنِّـي فِي رَوَابِينَـا

كُنَّـا إِذَا خَانَنَـا فَـرْعٌ نُقَطِّعُـهُ ... وَفَـوْقَ أَشْـلَائِهِ تَمْـضِي أَغَانِينَـا

كُنَّـا إِذَا مَـا اسْـتَكَانَ النُّـورُ فِي دَمِنَـا ... فِي الصُّبْحِ نَنْسَى ظَلَامًا عَاشَ يَطْوِينَـا

كُنَّا إِذَا اشْتَدَّ فِينَا الْيَأْسُ وَانْكَسَرَتْ ... مِنَّـا الـسُّيُوفُ وَنَادَانَـا مُنَادِينَـا

عُـدْنَا إِلَى اللهِ عَـلَّ اللهَ يَرْحَمُنَـا ... وَالآنَ نَخْجَـلُ مِنْـهُ مِـنْ مَعَاصِينَا

الآنَ يَرْجُفُ سَـيْفُ الـزُّورِ فِي يَـدِنَا ... فَكَيْفَ صَارَتْ كُهُوفُ الزَّيْفِ تُؤْوِينَا

هَلْ مِنْ زَمَانٍ يُعِيدُ السَّيْفَ مُشْتَعِلًا ... لَا شَيْءَ وَاللهِ غَـيْرُ الـسَّيْفِ يُبْقِينَـا

يَا خَالِدَ السَّيْفِ لَا تَعْجَبْ فَفِي زَمَنِـي ... بَـاعُوا الْمَـآذِنَ وَالْقُـرْآنَ رَاضِـينَا

قُمْ مِنْ تُرَابِكَ يَا ابْنَ الْعَاصِ فِي دَمِنَـا ... ثَـأْرٌ طَوِيـلٌ لَهِيـبُ الْعَـارِ يَكْوِينَـا

قُـمْ يَـا بِـلَالُ وَأَذِّنْ صَـمْتُنَا عَـدَمٌ ... كُلُّ الَّذِي كَـانَ طُهْـرًا لَمْ يَعُـدْ فِينَـا

هَلْ مِنْ صَلَاحٍ بِسَيْفِ الْحَقِّ يَجْمَعُنَـا ... فِي الْقُـدْسِ يَوْمًـا فَيُحْيِيهَـا وَيُحْيِينَـا

هَلْ مِنْ صَلَاحٍ يُـدَاوِي جُـرْحَ أُمَّتِـهِ ... وَيُطْلِـعُ الـصُّبْحَ نَـارًا مِـنْ لَيَالِينَـا

هَلْ مِنْ «صَلَاحٍ» لِشَعْبٍ هَدَّهُ أَمَـلٌ ... مَا زَالَ رَغْـمَ عِنَـادِ الْجُـرْحِ يَـشْفِينَا

هَلْ مِنْ «صَلَاحٍ» يُعِيدُ السَّيْفَ فِي يَدِنَا ... وَلْتَبْتُرُوهَـا فَقَـدْ شَـلَّتْ أَيَادِينَـا

حُزْنِي عَنِيدٌ وَجُرْحِي أَنْتَ يَا وَطَنِي ... لَا شَيْءَ بَعْـدَكَ مَهْـمَا كَـانَ يُغْنِينَـا

إِنِّي أَرَى الْقُدْسَ فِي عَيْنَيْكَ سَـاجِدَةً ... تَبْكِـي عَلَيْـكَ وَأَنْـتَ الآنَ تُبْكِينَـا

آهٍ مِنَ الْعُمْـرِ جُـرْحٌ عَـاشَ فِي دَمِنَـا ... جِئْنَـا نُدَاوِيـهِ يَـأْبَى أَنْ يُـدَاوِينَا

مَا زَالَ فِي الْعَيْنِ طَيْفُ الْقُدْسِ يَجْمَعُنَـا ... لَا الْحُلْمُ مَاتَ وَلَا الأَحْزَانُ تُنْـسِينَا

لَا الْقُدْسُ عَادَتْ وَلَا أَحْلَامُنَا هَدَأَتْ ... وَقَـدْ نَمُـوتُ وتُحْيِينَـا أَمَانِينَـا

مَا أَثْقَـلَ الْعُمْـرَ لَا حُلْـمٌ وَلَا وَطَـنٌ ... وَلَا أَمَـانٌ وَلَا سَـيْفٌ لِيَحْمِينَـا

متى تغضب؟

أعيرونا مـدافعَـكُم ليومٍ.. لا مدامعَكُمْ
أعيرونا وظلُّوا في مواقعكُمْ
بني الإسلام! ما زالت مواجعَنا مواجعُكُمْ
مصارعَنا مصارعُكُمْ
إذا ما أغرق الطوفان شارعنا
سيغرق منه شارعُكُمْ
يشق صراخنا الآفاق من وجعٍ
فأين تُرى مسامعُكُمْ؟!

ألسنا إخوةً في الدين قد كنا.. وما زلنا

فهل هُنتم، وهل هُنّا

أنصرخ نحن من ألمٍ ويصرخ بعضكم: دعنا؟

أيُعجبكم إذا ضعنا؟

أيُسعدكم إذا جُعنا؟

وما معنى بأن «قلوبكم معنا»؟

لنا نسبٌ بكم – والله – فوق حدودِ

هذي الأرض يرفعنا

وإن لنا بكم رحمًا

أنقطعها وتقطعنا؟!

معاذ الله! إن خلائق الإسلام

تمنعكم وتمنعنا

ألسنا يا بني الإسلام إخوتكم؟!

أليس مظلة التوحيد تجمعنا؟!

أعيرونا مدافعَكُمْ

رأينا الدمع لا يشفي لنا صدرًا

ولا يُبري لنا جُرحًا

أعيرونا رصاصًا يخرق الأجسام

لا نحتاج لا رزًا ولا قمحًا

تعيش خيامنا الأيام

لا تقتات إلَّا الخبز والملحا

فليس الجوع يرهبنا ألا مرحى له مرحى

بكفٍّ من عتيق التمر ندفعه

ونكبح شره كبحًا

أعيرونا وكفوا عن بغيض النصح بالتسليم

نمقت ذلك النصحا

أعيرونا ولو شبرًا نمر عليه للأقصى

أتنتظرون أن يُمحى وجود المسجد الأقصى

وأن نُمحى

أعيرونا وخلوا الشجب واستحيوا

سئمنا الشجب و«الردحا»

أخي في الله أخبرني متى تغضب؟

إذا انتهكت محارمنا

إذا نُسفت معالمنا ولم تغضبْ

إذا قُتلت شهامتنا إذا ديست كرامتنا

إذا قامت قيامتنا ولم تغضبْ

فأخبرني متى تغضبْ؟

إذا نُهبت مواردنا إذا نكبت معاهدنا

إذا هُدمت مساجدنا وظل المسجد الأقصى

وظلت قدسنا تُغصبْ

ولم تغضبْ

فأخبرني متى تغضبْ؟

عدوي أو عدوك يهتك الأعراض

يعبث في دمي لعبًا

وأنت تراقب الملعبْ

إذا لله، للحرمات، للإسلام لم تغضبْ

فأخبرني متى تغضبْ؟!

رأيت هناك أهوالًا

رأيت الدم شلالًا

عجائز شيَّعت للموت أطفالًا

رأيت القهر ألوانًا وأشكالًا

ولم تغضبْ

فأخبرني متى تغضبْ؟

وتجلس كالدمى الخرساء بطنك يملأ المكتبْ

تبيت تقدس الأرقام الأصنام فوق ملفّها تنكبْ

رأيت الموت فوق رؤوسنا ينصب

ولم تغضبْ

فصارحني بلا خجلٍ لأية أمة تُنسبْ؟!

إذا لم يُحْي فيك الثأرَ ما نلقى

فلا تتعبْ

فلست لنا ولا منا ولست لعالم الإنسان منسوبًا

فعش أرنبْ ومُت أرنبْ

ألم يحزنك ما تلقاه أمتنا من الذلِّ

ألم يخجلك ما تجنيه من مستنقع الوحلِّ

وما تلقاه في دوامة الإرهاب والقتلِ

ألم يغضبك هذا الواقع المعجون بالهولِ

وتغضب عند نقص الملح في الأكلِ!!

ألَم تنظر إلى الأحجار في كفيَّ تنتفضُ

ألم تنظر إلى الأركان في الأقصى

بفأسِ القهر تُنتقضُ

ألست تتابع الأخبار؟ حيٌّ أنت!

أم يشتد في أعماقك المرضُ

أتخشى أن يقال يشجع الإرهاب

أو يشكو ويعترضُ

ومن تخشى؟!

هو الله الذي يُخشى

هو الله الذي يُحيي

هو الله الذي يحمي

وما ترمي إذا ترمي

هو الله الذي يرمي

وأهل الأرض كل الأرض لا والله

ما ضروا ولا نفعوا، ولا رفعوا ولا خفضوا

فما لاقيته في الله لا تحفلِ

إذا سخطوا له ورضوا

ألم تنظر إلى الأطفال في الأقصى

عمالقةٌ قد انتفضوا

تقول: أرى على مضضٍ

وماذا ينفع المضضُ؟! أتنهض طفلة العامين غاضبة

وصُنَّاع القرار اليوم لا غضبوا ولا نهضوا؟!

ألم يهززك منظر طفلة ملأت

مواضع جسمها الحفرُ

ولا أبكاك ذاك الطفل في هلعٍ

بظهر أبيه يسترُ

فما رحموا استغاثته

ولا اكترثوا ولا شعروا

فخرّ لوجهه ميْتًا

وخرّ أبوه يُحتضرُ

متى يُستل هذا الجبن من جنبَيْك والخورُ؟
متى التوحيد في جنبَيْك ينتصرُ؟
متى بركانك الغضبيُّ للإسلام ينفجرُ
فلا يُبقي ولا يذرُ؟
أتبقى دائمًا من أجل لقمة عيشكَ
المغموسِ بالإذلال تعتذرُ؟
متى من هذه الأحداث تعتبرُ؟
وقالوا: الحرب كارثةٌ
تريد الحرب إعدادًا
وأسلحةً وقُوَّادًا وأجنادًا
وتأييد القوى العظمى
فتلك الحرب، أنتم تحسبون الحرب
أحجارًا وأولادًا؟
نقول لهم: وما أعددْتُمُ للحرب من زمنٍ
أألحانًا وطبّالًا وعوّادًا؟
سجونًا تأكل الأوطان في نهمٍ
جماعاتٍ وأفرادًا؟
حدودًا تحرس المحتل توقد بيننا
الأحقاد إيقادًا
وما أعددتم للحرب من زمنٍ

أما تدعونه فنًّا؟

أأفواجًا من اللاهين ممن غرّبوا عنَّا؟

أأسلحة، ولا إذنا

بيانات مكررة بلا معنى؟

كأن الخمس والخمسين لا تكفي

لنصبر بعدها قرنا!

أخي في الله! تكفي هذه الكُرَبُ

رأيت براءة الأطفال كيف يهزها الغضبُ

وربات الخدور رأيتها بالدم تختضبُ

رأيت سواريَ الأقصى كالأطفال تنتحبُ

وتُهتك حولك الأعراض في صلفٍ

وتجلس أنت ترتقبُ

ويزحف نحوك الطاعون والجربُ

أما يكفيك بل يخزيك هذا اللهو واللعبُ؟

وقالوا: كلنا عربٌ

سلام أيها العربُ!

شعارات مفرغة فأين دعاتها ذهبوا

وأين سيوفها الخَشَبُ؟

شعارات قد اتَّجروا بها دهرًا

أما تعبوا؟

وكم رقصت حناجرهم

فما أغنت حناجرهم ولا الخطبُ

فلا تأبه بما خطبوا

ولا تأبه بما شجبوا

متى يا أيها الجنديُّ تطلق نارك الحمما؟

متى يا أيها الجنديُّ تروي للصدور ظما؟

متى نلقاك في الأقصى لدين الله منتقما؟

متى يا أيها الإعلام من غضب تبث دما؟

عقول الجيل قد سقمت

فلم تترك لها قيمًا ولا همما

أتبقى هذه الأبواق يُحشى سمها دسما؟

دعونا من شعارات مصهينة

وأحجار من الشطرنج تمليها

لنا ودُمى

تترجمها حروف هواننا قمما

أخي في الله قد فتكت بنا علل

ولكن صرخة التكبير تشفي هذه العللا

فأصغ لها تجلجل في نواحي الأرض

ما تركت بها سهلًا ولا جبلا

تجوز حدودنا عجْلى
وتعبر عنوة دولا
تقضُّ مضاجع الغافين
تحرق أعين الجهلا
فلا نامت عيون الجُبْنِ
والدخلاءِ والعُمَلا
وقالوا: الموت يخطفكم وما عرفوا
بأن الموت أمنية بها مولودنا احتفلا
وأن الموت في شرف نطير له إذا نزلا
ونُتبعه دموع الشوق إن رحلا
فقل للخائف الرعديد إن الجبن
لم يمدد له أجلا
وذرنا نحن أهل الموت ما عرفت
لنا الأيام من أخطره وجلا
«هلا» بالموت للإسلام في الأقصى[1]

(١) للدكتور عبد الغني التميمي.

ومسكُ الختام

سِهَامُ اللَّيْلِ

لعبد الله العفاني

نَظَرَ إِلَيْهَا، تِلْكَ الوَليدةِ الغَزِّيَّةِ الرَّاقِدَةِ عَلى فِراشِ المَوْتِ، وقَرأ في نظراتِها معَانيَ العِتْابِ فكانتْ هَذي المشاعِرُ:

ذَوَتْ (١) مَا بَيْنَ أَطْلالِ الـ ... سَّرِيرِ.. كَزَهْرِ نِسْرِينِ (٢)
تَجَاذَبُهَا رِيَاحُ المَوْ ... تِ بَيْنَ صَقِيعِ تَشْرِينِ (٣)
يُقَاسِي جِلْدُهَا المَرْهُو ... فُ (٤) وَخْزًا الملايين
وتَشْكُو الإِبْرَةُ العَجْمَا ... ءُ ضِيقًا بِالمَيَادِينِ
تَمُورُ بِجِسْمِهَا الذَّاوِي ... أَنَابِيبُ الشَّرَايِينِ
تُحَاوِلُ أَنْ تَبُثَّ الرُّو ... حَ فِي أَشْلَاءِ خَشُّونِ (٥)
تُدَافِعُ دَمْعَةً حَرَّى ... بَكَاهَا القَلْبُ مِنْ هُونِ
وتَكْبِتُ صَرْخَةْ ثَكْلَى ... تَثُورُ لِجُرْحِ مَطْعُونِ
وتَكْظِمُ بَيْنَ أَضْلُعِهَا ... بَرَاكِينَ البَرَاكِينِ!!

---

(١) ذَوَتْ: ذَوَي العُودُ: ذَبُل وهُو أَلَّا يُصِيبَهُ رِيُّهُ أَو يَضْرِبَهُ الحَرُّ فيَذْبُلَ ويَضْعُفَ: يَبِسَ.

(٢) نِسْرِينِ: النِّسْرِين: ضَرْبٌ مِنَ الرَّياحِين.

(٣) تَشرينَ: أَحَدُ شُهُورِ السَّنةَ السِّرْيانيةِ (يُقابِلُهُ ديسمبر في السَّنَةِ الرُّوميَّة).

(٤) المَرْهوفُ: رَهَفَ: رَفَّ لَطُفَ.

(٥) خشون: طائر.

وتَنْفُثُ غَيْظَهَا المَحْمُو ... مَ فِي قَسَمَاتِ مَحْزونِ
وتَصْبُغُ فُلَّ عَيْنَيْهَا ... بِلَوْنِ الدَّمِّ والطِّينِ
وتَرْنُو مِلْءَ عَيْنَيْهَا ... إِلَى عَيْنَيَّ .. تُحْصِينِي
فَتَذْبَحُنِي بِسَيْفِ اللَّحْ ... ظِ صَامِتَةً وتُحْيِينِي
وتُقْرِئُنِي بِنَظْرَتِهَا ... دَمِيَّاتِ [1] المَكَانِينِ [2]
وتَارِيخًا بِعُمْقِ الدَّهْ ... رِ يَدْهَمُنِي ويُؤْبِينِي
وأَحْزَانَ الإِبَاءِ الحُ ... رِّ مِنْ صَبْرًا لِيَاسِينِ
وعَتْبًا [3] يَطْعَنُ الأَوْدَا ... جَ [4] لَكِنْ مَا يُوَارِينِي
ويَتْلُو اللَّحْظُ قَافِيَةً ... بِلَا صَوْتٍ وتَلْحِينِ
ويَهْدُرُ صَمْتُهَا رَعْدًا ... ويَصْرُخُ بِي.. يُنَاجِينِي
ويَسْكُبُ مِلْءَ أَنْحَائِي ... ويَحْفُرُ مِلْءَ عِرْنِينِي [5]
وَيَكْتُبُ مِلْءَ أَحْدَاقِي ... عَنَاوِينَ العَنَاوِينِ!!
لِمَاذَا يَا أَشِقَّاءَ الـ ... ـطَّوَى والدِّينِ تَنْسُونِي؟!

---

(١) دَمِيَّاتِ: جَمْعُ دَمِيَّةٍ: صِيغَةِ مُبَالَغَةٍ مِنْ دَامِيةٍ.
(٢) المَكانِينِ: جَمْعُ المَكْنُونِ.
(٣) عَتْبًا: عِتَابًا: لَوْمَكَ الرَّجُل عَلَى إِسَاءَةٍ كانَتْ لَهُ إِلَيْكَ.
(٤) الأَوْدَاجَ: جَمْعُ وَدَجٍ: عِرق في العُنقِ (الأخدعُ) وهما ودَجانِ يقْطعُهُما الذَّابحُ فلا تَبْقى حَيَاةٌ.
(٥) عِرْنِيني: أَوَّلُ الأَنفِ تَحْت مُجْتَمعِ الحَاجِبَيْنِ وهُو أَوَّلُ الأنف: رَأْسُ الأَنْفِ.

لِمَـــاذَا كُلَّـــمَا اسْتَنْـــصَرْ ... تُ لُهْفَـــى لا تُغِيثُـــونِي؟!

هُنَـــا أَهْـــلِي.. ولا شَـــجَرٌ ... يُهَدْهِـــدُ جَوْعَـــةَ الحِـــينِ!!

ومَـــا إلَّا فُتَـــاتُ المَـــوْ ... تِ مِـــنْ فِيـــهِ الثَّعَـــابِينِ؟!

وشَـــيْخٌ لَاهِـــثُ الأَشْـــدَا ... قِ يَلْعَـــقُ عَجْـــمَ [1] زَيْتُـــونِ!!

وطِفْـــلٌ دَامِـــيَ الـــشَّفَتَيْـ ... ـــنِ يَقْـــضِمُ شَـــوْكَةَ التِّـــينِ!!

ومُـــسْتَفْتٍ: تُـــرَى حَلَّـــتْ ... لَـــهُ مَوْتَـــاهُ فِي الـــدِّين؟!

ومـــا قَلْـــبٌ لَـــهُ يَبْكِـــي ... وفِي فَتْـــوَاهُ يُفْتِينِـــي!!

هُنَـــا ظَمَـــأٌ يُثِـــيرُ النَّـــا ... رَ تَحْـــتَ سُـــيُولِ كَـــانُونِ [2]

هُنَـــا ظَمَـــأٌ ولا قَطْـــرٌ ... يَبِـــلُّ فَمِـــي فيُحْيِينِـــي!!

وأُمٌّ مَـــاتَ فِي دَمِهَـــا الـــ ... حَلِيـــبُ فَلَـــيْسَ يَـــدْعُونِي!!

وبَـــيْنَ عَويـــلِ كَفَّيْهَـــا ... يَمُـــوتُ أَخِـــي ويَرْنُـــونِي!!

يُكَابِـــدُ حَـــشْرَجَاتِ الـــرُّو ... حِ مِـــنْ ظَمَـــإٍ ويُفْنِينِـــي!!

وأَرْقُـــدُ بَعْـــدَهُ شَـــبَعًا ... أُمَـــصُّ دَمِـــي ولَيْمُـــونِي!!

---

(١) عَجْمَ: العَجْمُ: النَّوَى: نَوى التَّمر والنَّبِق.

(٢) كانون: أَحَدُ الشُّهُورِ السِّرْيَانِيَّةِ (يُقابِلُ يناير في السَّنَةِ الرُّومِيَّةِ).

هُنَا سَوْطُ الصَّقِيعِ المُـ ـرُّ يَجْلِدُنِي ويُبْلِينِي!!
وريحُ الزَّمْهَرِيرِ الصَّـ ـرُّ تُصْمِنِي وتَنْفِينِي!!
هُنَا بَرْدٌ ولا نَارٌ لَا أَسْمَالُ مِسْكِينِ!!

هُنَا جَسَدٌ حَيِيُّ الطَّرْ فِ قُدْسِيُّ المَكَانِينِ
يَذُوبُ لِهَمْسَةِ الشُّحْرُو رِ بَلْ فَوْحِ الرِّيَاحِينِ!!
ويَحْمَرُّ الحَيَاءُ البِكْـ ـرُ فِيهِ لِنَظْرَةِ العِينِ!!
فكَيْفَ بِهِ وقَدْ تَركُو هُ عُرْيَانَ البَسَاتِينِ؟!
تَنَاهَشُهُ كِلَاب العِرْ ضِ أَوْ سُودُ الغَرَابِينِ!!
هُنَا جَسَدٌ ولا خِرَق تُثُورُ لِنَظْرَةِ الدُّونِ
هُنَا وَطَنٌ كَطُهْرِ الثَّلْـ ـجِ فِي عَزَمَاتِ حِطِّينِ
وَقُدْسٌ بَيْنَ عَيْنَيْهَا ثُوَاءُ الحَقِّ والدِّينِ
ومَسْرَى أَحْمَدَ الوَضَّا ءَ والرُّسْلِ المَيَامِينِ
وقَلْبٌ مِنْ حَوَالَيْهَا مِن الزَّيْتُونِ والتِّينِ
هُنَا طُهْرٌ يُدَنِّسُهُ لُعَابُ كِلَابِ صِهْيُونِ!!

هُنَا.. واسْتَرْسَلَتْ عَبَرَا تُهَا العَجْمَاءُ تَغْزُونِي
هُنَا جُوعٌ.. هُنَا ظَمَأٌ وبَرْدٌ لَيْسَ يُجْلِينِي

وَأَكْـــــوَانٌ مُـــــسَاوِمَةٌ بِمِـــلْءِ الأَرْضِ تَـــأْتِينِي!!
تَلُـــوكُ العَجْـــزَ بَـــيْنَ يَـــدَ يَّ لكِـــنْ لَـــيْسَ تُغْرِينـــي
فَمِلْئِـــي عِـــزَّتِي بِاللّـــــــهِ دُونَ الكـــوْنِ تُـــؤْبِينِي
فَلِـــمْ ماتـــت دمـــاء العِـــــزِّ فِي قَلْـــبِ الـــسَّلاطِين؟!
وكَيْـــفَ اسْـــتَبْدَلَ الأَشْرَا فُ دَمَّ العِـــزِّ بـــالهُونِ؟!
وكَيْـــفَ اسْـــتَمْرَأَ الأَعْـــرَا ذَاكَ العَـــيْشَ فِي الطِّـــينِ؟!
وتَحْـــتَ عَبَـــاءَةِ الأَرْزَا قِ بَـــاعُوا الـــدِّينَ بِـــالتِّينِ!!
أَتَجْـــرِي فِي دِمَـــائِكِمو دِمَـــاءٌ فَلْتُجِيبُـــونِي

فَـــسَالَتْ دَمْعَتِـــي الحَـــرَّى بِقَلْبِـــي كَـــيْ تُوَاسِـــيني
تُحَـــاوِلُ أَنْ تُهَدْهِـــدَنِي ولكِـــنْ لَـــيْسَ تَـــشْفِيني
فتَعْتَـــصِرُ الجَـــوَابَ المُـــ ـــرَّ مِـــنْ نَـــبْضِ الـــشَّرَايِينِ:
أَيَـــا بِنْـــتَ الـــشُّهُورِ العَـــشْـ ـــرِ رِفْقًـــا إِذْ تَلُـــومِينِي!!
وكُفِّـــي لَحْظَـــكِ المَـــسْنُو نَ إِنَّ العُتْـــبَ يُفْنِينِـــي
وَمِـــلْءَ فُـــؤَادِيَ المَـــذْبُو حِ مَـــا يَكْفِـــي لِتكفِينِـــي!!
فَـــمَا يُبكِيـــكِ مِـــنْ زَمَـــنٍ يُـــؤَرِّقُنِي ويُـــدْمِينِي
لأَنِّيَ أَقْـــــرَأُ الآتِي عَـــلى نُـــورٍ مِـــنَ الـــدِّينِ
فَـــذَاكَ العُمْـــرُ ضَـــيَّعْنَا هُ فِي ذَنْـــبٍ وتَهْـــدِينِ

وآثَـــــارٍ.. مُجَـــــاهِرَةٍ خَبِيثَـــــاتِ الأفَـــــانِينِ
تَـذُوبُ لَهَـا الـذُّنُوبُ الغُلْـ ـــفُ[1] فِي فِكْـرِ الـشَّيَاطِينِ
ومـــا زِلْنَـــا نَتُـــوقُ لِعَـــا هِـرٍ فِي الغَـرْبِ مَـأْفُونِ!![2]
ونَلْعَـــقُ مُنْـــتِنَ الأَقْـــذَا رِ فِي نَعْـــلِ المَلاعِـــينِ!!
ونَـــسْتَجْدِي رَغِيـــفَ الـــذُّ لِّ مِـــنْ خُبْـــزِ القَـــرَابِينِ!!
ونُهْـــدِي سَـــيْفَنَا الذَّهَبِـــ ـــيَّ ذَبَّـــاحَ المَـــسَاكِينِ!!
ونَحْبُـــو صَـــقْرَنا القَنَّـــا صَ قَتَّـــالَ الحَـــسَاسِينِ!!
ونُهْـــدِي زَيْـــتَ تُرْبَتِنَـــا لِمَـــنْ حَرَقُـــوا بَـــسَاتِيني!!
ونَـشْكُرُ مَـنْ لَغَـوْا[3] فِي العِـرْ ضِ مِـــنْ أُمِّ المَيَـــامِينِ!!
فَكَيْـــفَ اللهُ يَنْـــصُرُنَا بِأَرْجَـــاسِ الفَـــرَاعِينِ؟!

فَـــوَا أَسَـــفَى لأَرْجَـــاسِي وإحْجَـــامِ الـــسَّلاطِينِ!!
أَلَيْـسُوا الـرَّأْسَ مِـنْ وَطَنِـي وتفكِـــيرِي وعِرْنِينِـــي؟!
وهَـــلْ جَـــسَدٌ بِـــلَا رَأْسٍ سَـــوَى تَخْبِـــيطِ مَجْنُـــونِ؟!

---

(١) الغُلْفُ: جَمْعُ الأَغْلَفِ: المُغطَّى أي: الذي لم تُرتَكَبْ مِنْ قَبْل.

(٢) مَأْفُونٍ: نَاقِص العَقْلِ.

(٣) لَغَوْا: اللَّغْو واللَّغَا: السَّقْطُ وما لَا يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ كَلَامٍ وغَيْرِه، وجِمَاعُ اللَّغْوِ: الخَطَأُ إذا كَانَ اللَّجاجُ والغَضَبُ والعَجَلَةُ.

أَلَيْسُوا القَلْبَ مِنْ وَطَنِي ... ونَبْضُ القَلْبِ يُحْيِينِي؟!

وَهَلْ جَسَدٌ بِلَا قَلْبٍ ... سِوَى أَشْبَاحُ تِنِّينِ؟!

فَكَيْفَ إِذَا تَهَاوَى الرَّأْ ... سُ واجْتُثَّتْ شَرَايِينِي؟!

ودِيسَتْ بَيْنَ أَوْحَالِ الْـ ... ـهَوَى شُمُّ العَرَانِينِ[1]؟!

فَيَا مَنْ قَدْ تَنَاسَيْتُمْ ... إِبَاءَ العُرْبِ والدِّينِ:

أَمَا اهْتَزَّتْ مَشَاعِرُكُمْ ... لِذَا العَارِ الفِلَسْطِينِي؟!

بِمَا تَلْقَوْنَ رَبَّ العَرْ ... شِ فِي غَدِكُمْ؟! أَجِيبُونِي

أَلَا فَلْتَزْرَعُوا ذا الدِّ ... ينَ فِي قَلْبِي وتَكْوِينِي

فَأَنْتُمْ مِنْ صَمِيمِ الشَّعْـ ... ـبِ مِنْ تُرْبِ المَلايِينِ

فَإِن عُدْنَا فَقَدْ عُدْتُمْ ... وإِنْ عُدْتُمْ تُعِيدُونِي

وإِنْ ضِعْنَا فَقَدْ ضِعْتُمْ ... وإِنْ ضِعْتُمْ تُضِيعُونِي

فَمِنْ رَحِمِ ابْتِهَالِ التُّرْ ... بِ إِشْرَاقُ البَسَاتِينِ

وَوَهْمًا تَفْرِزُ الأَوْحَا ... لُ غَيْرَ الوَحْلِ والطِّينِ

ومِنْ غَيْثِ التَّسَابِيحِ الـ ... ـطَّهُورِ يَثُورُ لَيْمُونِي

وزَورًا تَنْبُتُ الأَزْهَا ... رُ مِنْ سَيْلِ الفَرَاعِينِ

فَبَيْنَ التُّرْبِ والأَمْطَا ... رِ يَسْمُقُ طُهْرَ تِنِّينِي

---

(١) العَرَانِين: جَمْعُ العِرْنِين.

فَيَـا بِنْـتَ الـشُّهُورِ العَـشْـ ... ـرِ رِفْقًـا إِذْ تَلُـومِيني
فَـمَا زَالَـتْ جَوَانِحُنَـا ... تَفُـوحُ بِعـزِّ حِطِّـينِ
وآمَـالٍ بِمِـلْءِ القَلْـ ... ـبِ تَحْمِلُنِـي وتُعْلِنِـي
تَطِـيرُ بِهِمَّتِـي العَرْجَـا ... ءِ لِلْفِـرْدَوْسِ والعِـينِ!!
فَبَيْنَـا تَحْلُـكُ الأَلْيَـا ... لُ.. بِـالإِشْرَاقِ تَـأْتِينِي!!
وتَحْـتَ حَجَـارَةِ الـصَّحْرَا ... ءِ مَطْمُـورُ البَـسَاتِينِ!!
وجَنَّـاتٌ مِـنَ الرُّمَّـا ... نِ والزَّيْتُـونِ والتِّـينِ!!
سَـتُفْلِقُ هَـامَ صَـخْرَتِهَا ... وتَحْـضُنُنِي وتَحْبُـونِي
ومِـنْ طَلْـقِ الـوِلَادَةِ تَـزْ ... أَرُ الأَشْـبَالُ تَحْـدُونِي!!
فَـلَا تَهِنِـي وإِنْ أُودِعْـ ... ـتُ أَغْـلَالَ الزَّنَـازِينِ
وأَدْمَـتْ جِيـدِيَ الأَغْـلَا ... لُ أَوْ أَسْـوَاطُ مَـأْفُونِ
وغَـالَ مُجُـونُهُمْ كَلِمِـي ... وكَمَّـمَ صَـوْتَ تَـأْذِينِي!!
فَقَـدْ أَدْرَكْـتُ سِرَّ الـسِّـ ... ـرِّ فِي نَـصْرٍ وتَمْكِـينِ
فَمِـلْءُ فُـؤَادِيَ المَـوَّا ... رِ نَبْـيُّ الحَـقِّ والـدِّينِ
سَـأُوقِفُهُ[1] يَبُـثُّ الطُّهْـ ... ـرَ فِي قَلْـبِ المَـسَاجِينِ

(١) أوقفه: أجبله وقفًا عليه: أقصره عليه.

ويَقْفُــو [1] يُوسُــفِيَّ الهَــدْ ... يِ فِي لَيْــلِ الفَــرَاعِينِ
ويقْــدَحُ شُــعلَةَ التوحيــ ... ـدِ فِي حَالَــةِ القَــرَابِينِ
لِيُــذْهِبَ نُــورَهُ الأَوْهَــا ... مَ فِي تُلْمُــودِ شَــارُونِ
سَــأَقذِفُها سِــهَامَ اللــيـ ... ـلِ فــأَرْتقِبِي أَفــانِينِ
لَهَــا مِــنْ دَمْعَتِــي مَــدَدٌ ... ومِــنْ عَــوْنِ المَــسَاكِينِ
ومِــنْ صَــوْمِ البُطُــونِ الضُّمْـ ... ـرِ مِــنْ أَعْــوادِ زيتــون
لهــا نهــشُ الــصقيعِ المُــ ... ـرِّ فِي أنيــارِ ســجِّينِ!!
تَــذُوبُ لَهَــا جِبَــالُ الأَرْ ... ضِ بَــيْنَ التَّــوِ وَالحِــيْنِ
فِي أمــرِ اللهِ حــينَ يرِيـ ... ـدُ بــين الكــافِ والنــونِ

(١) يقفو: يتبع الأثر.